سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

تراثنا

عُمان في فجر الإسلام

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة
المكتبة
تاريخ الإسلام : ١٧٨
الرقم الخاص :

تأليف
الأستاذة الدكتورة
سيّدة اسماعيل كاشف
أستاذة التاريخ الإسلامي
جامعة عين شمس – القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم صاحب المعالى سمو الأمير

السيد فيصل بن على بن فيصل

وزير التراث القومى والثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم استفتح هذه السلسلة من الكتيبات الدورية : خطة ثقافية ، نستهدف منها تقديم الغذاء الفكرى ، والزاد الروحى للعقل العربى وللفكر العمانى .

وإنه لمن دواعى الغبطة والسرور أن نجد فى أمجاد تاريخنا الطويل ، وفى حضارتنا الأصيلة معيناً فياضاً نستمد منه المواد العديدة والموضوعات المختلفة فى كثير من ألوان العلوم والآداب والفنون التى تنتظمها هذه الكتيبات ونعرضها ، على القارئ بأسلوب سهل يسير ، وبصورة شائقة تبعث البهجة فى النفوس والانشراح فى الصدور ، إلى جانب موضوعات أخرى تنضم بعضها إلى بعض فتغطى حاجة الفكر من المعارف .

وإنا لنسأل الله العلى القدير أن يوفقنا فى كل أعمالنا . وأن يسدد خطانا وأن يلهمنا الرشاد ، وأن يحفظ عمان ويوفقها إلى ما فيه خير أبنائها وخير الإنسانية فى ظل حضرة صاحب العظمة السلطان قابوس بن سعيد حفظه الله إنه سميع مجيب الدعاء .

فيصل بن على بن فيصل
وزير التراث القومى والثقافة

الفهرس

حلقة

ياحبة زاد زاد راحية

قالوا يقالت الا يزاد

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين
وعلى عباده الذين اصطفى

مقدمة الكتاب

حاولنا فى هذا الكتاب الموجز تسليط الأضواء على عُمان فى فجر الإسلام ، أى فى فترة لاتتجاوز القرون الثلاثة الأولى للهجرة . وقد بيّنا كيف دخل الإسلام فى عمان زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكيف أسلم العمانيون وحسُن إسلامهم ، ثم كيف واجهوا المناوئين لدولة الإسلام التى بناها الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكيف قاوموا المرتدين الذين حاربوا الدين القويم الذى بشّر به خاتم الأنبياء وسيد المرسلين .

والحق أن التاريخ يؤكد أن شعب عُمان منذ أقدم العصور شعب متحضر مثقف واع ، ولهذا فإنهم حين أسلموا استوعبوا جوهر الدين وفهموه فهماً حسناً . وبالرغم من بعد عمان عن الحجاز — مهبط الوحى وموطن الرسول عليه الصلاة والسلام — وبالرغم من منعة عمان ، وبالرغم من عدد العمانيين وعتادهم ، فإنه لم يكن لهم مصلحة فى القضاء على الدين الإسلامى كما فعلت قريش بادئ ذى بدء خوفاً على نفوذها وسيطرتها على الكعبة .

وقد بيّنا كيف اشترك العمانيون فى الفتوحات الإسلامية الأولى برغم تجاهل معظم المصادر لهذا الدور العمانى الرائع وخاصة فى الجبهة الشرقية والجنوبية .

وقد بيّنا فى إيجاز كيف كانت عمان خلية من النشاط العلمى والفقهى والأدبى ، كما أوضحنا مدى ارتباطها بصفة خاصة بالبصرة منذ أن اختطت أيام عمر بن الخطاب ، حتى غدت البصرة عمانية بسكانها وبعلمائها العمانيين . كذلك تحدثنا عن أباضية عمان وحاولنا إلقاء الضوء على المذهب الأباضى الذى فهمه معظم الكتاب القدماء والحديثين فهماً خاطئاً لعدم رجوعهم إلى المصادر الأباضية بالدرجة الأولى ، ولأن الحكام الأمويين ومن بعدهم العباسيين قد نجحوا إلى حد كبير فى إخفاء تراثهم العلمى ردا على موقف الأباضية منهم فى الناحيتين الدينية والسياسية . كذلك تحدثنا عن دور أباضية عمان الدينى والعلمى العظيم فضلا عن جهودهم المضنية فى سبيل قيام الإمامة الصالحة التى تستند على القرآن الكريم والسنة الشريفة والإجماع . ونجح الأباضية فى إقامة الإمامة فى عمان وفى الاحتفاظ باستقلال بلادهم بعد عصر الخلفاء الراشدين إلا فى الأوقات التى سادت فيها ظروف معينة . كما نجحوا فى إقامة مذهبهم ، وفى إقامة الإمامة العادلة ، فى فترات قصرت أو طالت ، وذلك فى الحجاز وحضرموت واليمن ، وشمال افريقية ، وشرق أفريقية

وإذ نتقدم بهذا الكتاب المتواضع عن عُمان فى فجر الإسلام ، نسأل الله تعالى أن تستمد عُمان من ماضيها المجيد القوة والعزة والمجد ، وأن تساهم فى مختلف نواحى الحضارة الإسلامية مساهمة فعالة تليق بماضيها التليد ، وبتاريخها الزاهر على مر العصور .

ولا يفوتنى أن أتوجه بشكرى الخالص وتقديرى العميق إلى صاحب المعالى سمو الأمير السيد فيصل بن على بن فيصل وزير التراث القومى والثقافة فى سلطنة عمان ، الذى أتاح لى فرصة التقدم بالكتاب الأول فى « سلسلة تراثنا » . حفظه الله ووفقه فى نشر التراث العمانى العظيم فى ظل ورعاية حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله .

ذو الحجة ١٣٩٩ هـ — دكتورة

نوفمبر ١٩٧٩ م — سيدة إسماعيل كاشف

جغرافيه عمان واثرها على تاريخها

يرجع تاريخ عمان إلى آلاف السنين . وعمان شبه جزيرة جبلية فى شرقى شبه الجزيرة العربية . وكان الجغرافيون القدماء أمثال ديودور الصقلى ، وسترابون ، وبطليموس ، يقسمون بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام رئيسية : العرب الصخرية ، والعرب القفرة ، والعرب السعيدة . وكانت عمان تدخل ضمن بلاد العرب السعيدة ، لكن فى العصور الوسطى كانت هذه التسمية تطلق خطأ على اليمن فقط . أما العرب أنفسهم فكانوا يقسمون شبه جزيرتهم إلى خمسة أقسام : تهامة والحجاز ونجد واليمن والعروض . وحسب تقسيم العرب تقع عمان والبحرين واليمامة فى العروض ، وسمى عروضا لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق .

وتتصل عمان براً ببقية شبه الجزيرة العربية عن طريق السهل الساحلى ، أو عن طريق الوديان . كذلك تتصل عمان شمالا بالعراق والهلال الخصيب ، ولم يكن يفصلها عن العراق سوى البحرين . وكان سكان وادى الوافدين ، أو العراق ، يجلبون النحاس من عمان منذ عصور ما قبل التاريخ ، وظلوا يجلبونه منها فى العصور التاريخية القديمة . وجاء ذكر عمان فى النقوش المسمارية باسم «مجان» أو «مغان» .

ومما يؤيد أن « مجان » التى يرد ذكرها فى النقوش المسمارية هى إقليم عمان ، أن هذه النقوش تصف « مجان » بأنها جبل النحاس. والمعروف أن النحاس لا يزال موجودا فى الجبل الأخضر فى عمان، وأن نحاس هذا الإقليم يحتوى على كمية من القصدير مثل الذى كان يجلبه السومريون والأكديون إلى وادى الرافدين ، وهو فى ذلك يخالف النحاس الموجود فى إيران وآسيا الصغرى وشبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص .

والراجح أن بلاد الرافدين كانت تجلب من شرقى بلاد العرب ولاسيما إقليم « مجان » أنواعا من الحجر التى كانت تستخدم فى صناعة التماثيل والأنصاب ، ولا سيما حجر الأوبسيديان البركانى وحجر الديوريت .

وتحيط البحار والخلجان بعمان شمالا وشرقا وجنوبا ، فعمان تطل على الخليج العربى ثم خليج عمان ؛ ثم بحر عمان وبحر العرب وهما امتداد للمحيط الهندى . ولهذا نبغ فى عمان منذ القدم المعلمون المهرة والملاحون الحاذقون . ويروى البلاذرى أن عتبة بن غزوان حين فتح الأُبُلَّة كتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه بذلك ويخبره أن الأبلة فرضة البحرين وعمان والهند والصين(١) .

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢٤٩
(طبعة القاهرة ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م) :

وبفضل موقع عمان الجغرافى ، وبفضل نشاط أهلها ، نشأت الحضارة العمانية وازدهرت وترعرعت . وتطلب هذا الموقع الجغرافى من ناحية أخرى يقظة العمانيين والسهر لحمايتها من أطماع الطامعين .

القبائل العربية فى عمان

تذكر الروايات التاريخية أن عمان وقعت تحت حكم الأحباش فى القرن السادس الميلادى . والمعروف أن الأحباش غزوا بلاد اليمن أيضاً بتحريض من حليفهم إمبراطور الروم وذلك للسيطرة على الطرق التجارية ، وللقضاء على تجارة منافسيهم الفرس ، فضلا عن جعل السيادة للدين المسيحى(١) . وظل الأحباش يحكمون فى اليمن وفى عمان ، لكن سوء حكمهم جعل العرب يستنجدون بالروم ، ثم بالفرس فى عهد كسرى أنو شروان (٥٣١ — ٥٧٨ م) . واستطاع الفرس بمعاونة أهل البلاد القضاء على الأحباش فى اليمن ثم فى عمان .

---

(١) انظر : ابن هشام : التيجان فى ملوك حمير ص ٣٠١ (طبعة حيدر أباد ١٣٤٧ هـ) ،

Palgrave : Narrative of a year's journey through Central and Eastern Arabia. Vol I. p. 255 (London 1865).

ولعل طرد الفرس من عمان كان منذ سنة ٥٩٧ م(١) .

وعلى أثر انهيار سد مأرب تفرقت القبائل والبطون اليمنية فى أنحاء شبه الجزيرة وفى أطرافها . وكان ممن خرج إلى عمان من الأزد ، مالك بن فهم ، فيمن أطاعه من ولده وقومه وعشيرته . أما ولده جذيمة الأبرش بن مالك فقد اعتزل عنهم بمن سار معه من الأزد إلى أرض العراق . ويروى أن مالك بن فهم استقر أولا فى السراة فى الحجاز ، ومالبث أن اتجه إلى عمان . وحين توسط الطريق حنت إبله إلى مراعيها وأقبلت إلى السراة ، فكان مما قاله مالك فى ذلك :

ستغنيك عن أرض الحجاز مشارب
رحاب النواحى واضحات المسالك(٢)

وتروى الروايات التاريخية أن مالك بن فهم اضطر لدخول

---

(١) راجع : الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١١٦ — ١١٧ (طبعة القاهرة ١٣٢٦ هـ) ؛

Firouz (Kajare) : Le Sultanat d'Oman et la question de Mascate. pp. 27-28 (Etude d' Histoire Diplomatique et de Droit Internationale. Paris 1914).

(٢) السالمى (الشيخ أبو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم السالمى) : تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان . الجزء الأول . ص ١٤ (الطبعة الأولى بالقاهرة ١٣٣٢ هـ) .

حرب شرسة مع عامل الفرس حينذاك على عمان، وذلك ليستخلص الأرض العربية من أيدى محتليها . وعمد الفرس إلى إرهاب العرب بوضع عدد من الفيلة فى مقدمة جيشهم ؛ لكن العرب استطاعوا انتزاع عمان من الفرس .

وبعد انتصار مالك بن فهم على الفرس أخذت قبائل الأزد تتوافد على عمان .

ونظم شعراء عمان الأشعار الكثيرة فى استقرار مالك بن فهم وولده فى عمان وفى انتصاره على الفرس .

ولم يكن الأزد اليمانية هم سكان عمان فقط . بل سكنها بطون وقبائل من العرب العدنانية من بنى سعد وبنى عبد القيس وبنى تميم وبنى شيبان وبنى بكر وبنى عبس . كذلك سكنها أخلاط من الأعراب البدو ، وسكنها قوم من الفرس ، فضلا عن أخلاط من الناس .

اسم عمان

وقيل إن الأزد سمت « عُمان » عمانا لأن منازلها كانت على وادٍ لهم بمأرب يقال له عمان فشبهوها به . أما العجم فكانت تسميها مزونا . وفى ذلك قيل :

إن كسرى سمى عمان مزونا ومزون يا صاح خير بلاد

بلدة ذات مزرع ونخيل ومراع ومشرب غير صاد (١)

وقيل سميت عمان بعمان بن ابراهيم الخليل عليه السلام . وقيل سميت بعمان بن سبأ بن يفثان بن إبراهيم خليل الرحمن لأنه بنى مدينة عمان(٢) .

الشعوب العربية البائدة فى عمان

وليس من شك فى أنه سكن عمان قبل العرب القحطانية اليمنية والعرب العدنانية الشمالية ، شعوب عربية قديمة من الشعوب البائدة ، مثل عاد التى كانت تسكن فى الأحقاف بين عمان وحضرموت ونبيها سيدنا هود . وقد ورد ذكر عاد وثمود فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة منها ماجاء فى سورة الشعراء والأعراف والمؤمنون . ومن يتأمل فى الآيات القرآنية الكريمة يمكنه أن يستنتج أن هؤلاء الأقوام كانوا متحضرين مترفين .

وقد يكون من سكان عمان القدماء من العرب البائدة طسم وجديس التى سكنت فى اليمامة شرقى نجد .

---

(١) الأزكوى (سرحان بن سعيد) : كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة . ص ٣٢ (نسخة خطية بالمكتبة التيمورية رقم ٢٥٨٢ تاريخ)

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان . ج ٦ ص ٢١٥ (الطبعة الأولى — القاهرة ١٣٢٤ هـ ، ١٩٠٦ م)

ديانة عمان قبل الإسلام

قبل أن يشرق نور الإسلام فى شبه الجزيرة العربية وفى العالم أجمع ، كانت عمان ملتقى لديانات شبه الجزيرة العربية والعالم الخارجى بحكم موقعها فى شبه الجزيرة العربية ، وبحكم موقعها الجغرافى وصلتها بالعالم الخارجى .

ونجد فى معاجم اللغة العربية ، وفى الأدب العربى من شعر وقصص أخبارا عن الوثنية فى بلاد العرب فى العصر الجاهلى ، وكثير منها يرجع إلى المؤرخ هشام بن محمد الكلبى (المتوفى سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) والذى ألف كتاباً عن الأصنام جمع فيه معظم ما كان معروفا عنها فى عصره ، ولكننا لانجد فى هذا الكتاب أى شرح حقيقى لخواص تلك الآلهة الوثنية .

وتدل الأسماء التى كانت منتشرة فى العصر الجاهلى فى بعض الأحيان على أسماء آلهة عرفها العرب فى جاهليتهم . ومن تلك الأسماء عبد ودّ وعبد شمس وعبد العزّى وعبد قيس وامرؤ القيس ووهب اللات وتيم اللات وزيد اللات وعبد عوف .

وفى القران الكريم إشارات إلى بعض آلهة الجاهلية . ومن ذلك (أفرأيتمُ اللاتَ والعزّى * ومَنَاةَ الثالثةَ الأخرَى * ألَكُمُ الذّكرُ وَلهُ الأُنْثَى * تلك إذًا قِسْمةٌ ضِيزَى . إنْ هى إلاّ أسماءٌ سَمّيتُمُوها أنتمُ وآباؤكم ما أنزل اللهُ بها من سُلطَانٍ

إن يتبعونَ إلا الظنَّ وما تهوى الأنفُس ولقدْ جاءهُم من ربّهم الهُدَى)(١) .

وقال تعالى : (قال نوحٌ ربِّ إنّهم عَصَونى واتّبعوا مَن لم يزدْهُ مالُه وولدُهُ إلاّ خساراً ومكروا مكراً كُباراً وقالوا لا تذَرُنَّ آلهتكم ولا تذَرُنَّ وَدًّا ولا سُوَاعاً ولا يغُوثَ ويَعوقَ ونسراً)(٢) .

وكان العرب كغيرهم من الشعوب السامية القديمة قوما للدين عندهم منزلة كبيرة . والواقع أن الساميين القدماء كانوا شعب الله وشعب الديانات ، والعالم مدين لهم بالديانات الثلاث الكبرى . ومع ذلك فيبدو أن البدو من العرب لم يكن لديهم شعور دينى عميق وأنهم كانوا يسيرون فى ممارسة الطقوس الدينية وفقا للتقاليد والعقائد الموروثة . وطبيعى أن ديانة البدو كانت ساذجة وبدائية ولم تصل إلى ما عرفه العرب المتحضرون — مثل عرب اليمن وعرب عمان — من المظاهر الفلكية والطقوس الدينية والهياكل وما إلى ذلك مما كان نتيجة للبيئة الحضرية والاستقرار فى المجتمع . وكان الاستقرار والتقدم فى مضمار الحضارة هما السبب فى عبادة الأجرام السماوية كالقمر والشمس والنجوم . وقد جاء فى القران الكريم

---

(١) سورة النجم الآيات ١٩ — ٢٣ .

(٢) سورة نوح الآيات ٢١ — ٢٣ .

(وَمِنْ آياتِهِ اللَّيلُ والنَّهارُ والشمسُ والقمرُ لا تَسْجُدوا للشمسِ ولا للقَمَرِ واسْجُدوا لِلهِ الذى خَلَقَهُنَّ إن كُنْتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدونَ).(١) وكان من معبودات العرب فى الجاهلية النجم عطارد . وهو المشار إليه فى سورة الطارق (والسَّماءِ والطَّارق * وما أدْراكَ ماالطَّارقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ).(٢) والمشار إليه فى سورة النجم (والنَّجم إذا هَوَى * ما ضَلَّ صَاحِبُكُم وما غَوَى)(٣) .

وكانت الظاهرة الأساسية فى المعتقدات الدينية عند البدو إيمانهم بوجود أرواح فى بعض الأجرام السماوية كالقمر والشمس والنجوم ، وفى بعض مظاهر الطبيعة كالأمطار والرياح ، وفى بعض العناصر الجامدة كالأشجار والحجارة . وكانت عبادة هذه الأرواح تقصد لذاتها أولا ، ثم امتد تفكير العرب فى الجاهلية إلى وجود قوة إلهية أعلى ؛ ولكنهم اعتبروا تلك الأرواح والمعبودات واسطة للإله الأكبر ...

وعرفت عُمان عبادة النار ، أو المجوسية ، وذلك عن طريق اتصالها البحرى والتجارى ببلاد الفرس .

أما اليهودية فقد دخلت شبه الجزيرة العربية قبل الديانة المسيحية .

---

(١) سورة فصلت آيه ٣٧ .

(١) سورة الطارق . الأيات ١ — ٣

(٢) سورة النجم . الأيات ١ — ٢

والراجح أن اليهود دخلوا بلاد العرب من فلسطين وخاصة منذ سنة ٧٠ بعد الميلاد وهى السنة التى خربت فيها بيت المقدس على يد تيتوس ابن الإمبراطور الرومانى فسبازيان . ولم يكن يهود اليمن وعُمان ويثرب وسائر أنحاء شبه الجزيرة العربية هم الذين هاجروا إليها من خارج شبه الجزيرة فقط ، وإنما اعتنق فريق من العرب تلك الديانة السماوية .

والمعروف أن نفوذ اليهودية قوى من اليمن حتى أقبل على اعتناقها ذو نواس آخر ملوك حمير فى اليمن فى القرن السادس الميلادى ، وتحمس يوسف ذو نواس لليهودية حتى قيل إنه اضطهد رعاياه المسيحيين انتقاما لاضطهاد بيزنطة المسيحية لليهود . وقيل إنه انتهز فرصة أتيحت له للفتك بالمسيحيين فى نجران ، وخيرهم بين اليهودية والقتل ، واختاروا القتل فحفر لهم أخدوداً كبيراً وأحرقهم . وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة من القران الكريم : (قُتِلَ أصحابُ الأخدُودِ . النارِ ذاتِ الوَقُودِ * إذ هُمْ عليها قُعُودٌ * وهم على ما يفعلونَ بالمؤمنين شهودٌ . وما نقَموا منهم إلا أن يُؤمِنُوا باللهِ العزيزِ الحميدِ) (١) .

أما المسيحية فقد دخلت إلى بلاد اليمن وعُمان وغيرهما من أنحاء شبه الجزيرة العربية منذ القرون المسيحية الأولى على يد مبعوثين ومبشرين من الشام أو على يد الفارين من اضطهاد الأباطرة الرومان والبيزنطيين للمسيحيين . والراجح أن اتساع نفوذ المسيحية فى عُمان

(١) سورة البروج الايات ٤ : ٨

واليمن كان له صلة كبيرة بالمنافسة التجارية بين الروم والفرس والعرب .

وعملت بيزنطة على إدخال المسيحية عن طريق الأحباش ، كما ساعد الفرس على نشر اليهودية لتعرقل النفوذ الأدبى والدينى الذى ناله الروم من نشر المسيحية . ونسمع عن بعثة مسيحية أرسلها إمبراطور الروم بعد منتصف القرن الرابع الميلادى . كما بنيت الكنائس بعد ذلك فى عدن ونجران وظفار وحضرموت ومأرب وغيرها .

والحق أن عُمان كانت ملتقى لجميع الأديان التى تحدثنا عنها حتى بزغ نور الإسلام . ولكننا نلاحظ أنه كان على رأس المعبودات المختلفة فى الجاهلية « الله » ولم يكن الواحد الأحد فقد كانت إلى جانبه معبودات أخرى . وفى القرآن الكريم آيات تشهد بعلو مكانة الله ، مثال ذلك قوله تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) . (١) وقال تعالى : (وإذا غَشِيَهُم مَوْجٌ كالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لهُ الدِّينَ فلمَّا نَجَّاهُمْ إلى البرِّ فمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ)(٢) .

---

(١) سورة لقمان . آية ٢٥

(٢) سورة لقمان . آية ٣٢

الدعوة إلى الإسلام فى عمان

بدأ الرسول عليه الصلاة و السلام يبشر بالإسلام فى مكة ، و تحمل هو ومَنْ آمن بالرسالة أنواعا مختلفة من الاضطهاد . ثم منّ الله على المسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة ، و حدث ما حدث من غزوات و حروب بين الرسول عليه صلوات الله و سلامه ومَنْ آمن برسالته ، وبين قريش ومَنْ حالفها . وكان من نتائج صلح الحديبية الذى عقد بين المسلمين و بين قريش فى السنة السادسة للهجرة أن أصبح الاتصال مع بقية شبه الجزيرة العربية أمرا ميسورا . إذ أمن الناس كلهم بعضهم بعضا واختلط المسلمون مع غيرهم وجادلوهم حتى اعتنق كثيرون الإسلام. ويذكر المؤرخون القدماء مثل الطبرى أنه أسلم فى السنتين اللتين تلتا هذا الصلح عدد من الناس أكبر من عدد المسلمين قبل الصلح .

كذلك تفرغ الرسول عليه الصلاة و السلام لدعوة ملوك وأمراء عصره إلى الإسلام سواء فى داخل شبه الجزيرة العربية أو فى خارجها لأنه بعث هدى و رحمة للناس . قال الله تعالى : (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاَءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ

وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرى للمُسْلمين)(١). وقال الله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكرٌ للعَالَمِين. وَلتَعلمُنَّ نَبَأَه بَعْد حِين) (٢) .

وقال تعالى: (وما أَرْسلنَاك إِلاَّ كافَّةً للنَّاس بَشيراً ونَذِيرًا ولكنَّ أكثرَ النَّاس لا يعلمُون) (٣) .

وقال تعالى: (تَبارك الَّذى نزَّل الفُرْقان علَى عبْده ليَكُون للعَالمين نذيراً)(٤). وقال الله تعالى (قُل يَا أَيُّها الناسُ إِنّى رسُولُ اللهِ إِليكُم جَمِيعاً)(٥) .

وقد أمر الرسول عليه الصلاة والسلام فصنع له خاتم من فضة نقشت عليه « محمد رسول الله » وذلك حتى يختم رسائله .

وحين ظهر الإسلام كان يحكم عمان بنو الجلندى ، وهم ملوك عمان بعد أولاد مالك بن فهم على رأى ، أو من ولد مالك بن فهم الأزدى على رأى آخر . وأدرك الإسلام ملكا عمان عبد وجيفر (٦)

---

(١) سورة النحل آية ٨٩

(٢) سورة ص آية ٨٧ و٨٨

(٣) سورة سبأ آية ٢٨

(٤) سورة الفرقان آية ١

(٥) سورة الأعراف آية ١٥٨

(٦) لم يختلف المؤرخون والكتاب فى اسم جيفر أما عبد فقد ورد أحياناً « عباد » كما فى تاريخ اليعقوبى ، وكتبه البلاذرى فى فتوح البلدان « عبيد » وكتبه ابن هشام فى سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام « عباد » وكتب أيضا فى بعض المصادر عياذ .

ابنى الجلندى وإليهما كتب الرسول عليه الصلاة والسلام يدعوهما إلى الإسلام .

واختلفت الروايات التاريخية فى تاريخ دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ملكى عمان للدخول فى الدين الإسلامى . فيذكر ابن هشام (١) أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل فى السنة السادسة للهجرة الكتب يدعو إلى الإسلام ، وذلك إلى الملوك والأمراء ومن بينهم جيفر وعباد ابنى الجلندى ، أما البلاذرى (٢) فيذكر أنه فى سنة ثمان للهجرة «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا زيد الأنصارى أحد الخزرج ، وهو أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وبعث عمرو بن العاص السهمى إلى عبيد وجيفر ابنى الجلندى بكتاب منه يدعوهما فيه إلى الإسلام وقال : إن أجاب القوم إلى شهادة الحق وأطاعوا الله ورسوله فعمرو الأمير ، وأبو زيد على الصلاة وأخذ الإسلام على الناس وتعليمهم القرآن والسنن . فلما قدم أبو زيد وعمرو عُمان ، وجدا عبيدا وجيفرا بصحار على ساحل البحر فأوصلا كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إليهما فأسلما ودعوا العرب هناك إلى الإسلام ، فأجابوا إليه ورغبوا فيه فلم يزل

---

(١) ابن هشام : كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ٤ ص ٢٧٩ (طبعة القاهرة ١٣٥٦ هـ) .

(٢) فتوح البلدان : ص ٨٣ (الطبعة الأولى — القاهرة ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م) .

عمرو وأبو زيد بعمان حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم ،ويقال إن أبازيد قدم المدينه قبل ذلك » .

وفى رواية أخرى للبلاذرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أبا زيد بكتابه إلى عبيد وجيفر ابنى الجلندى الأزديين فى سنة ٦ هـ، ووجه عَمْراً فى سنة ٨ هـ بعد إسلامة بقليل (١) .

أما ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى ، واليعقوبى ،والطبرى ، وغيرهم من المؤرخين القدامى فيجمعون على أن كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ملكى عمان كان فى السنة الثامنة للهجرة (٢) .

استجابة ملكى عمان لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم

وتتفق الروايات التاريخية كلها على أن ملكى عمان استجابا لدعوة الرسول عليه أفضل الصلوات والسلام ، وأنهما قاما بدعوة العمانيين إلى الإسلام . وذكر المؤرخون والكتاب القدماء بعض التفصيلات عن مقابلة عمرو بن العاص لعبد وجيفر ابنى الجلندى ، من ذلك استفسار ملكى عمان عن الإسلام وجوهر هذا الدين

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٨٤

(٢) راجع : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٧ (طبعة القاهرة ١٣٥٨هـ) وتاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٦٢ (طبعة النجف الأشرف ١٣٥٨ هـ) ، الطبرى : تاريخ الإمم والملوك ج ٣ ص ١٠٣ (الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية) .

الحنيف فكانت إجابة عمرو بن العاص بأن « يعبد الناس الله والا يشركوا به شيئا وأن يشهدوا أن محمداً عبده ورسوله ... » ، وفى بعض الروايات التاريخية أن جيفرا سأل عن موقف قريش من الدعوة فأجابه عمرو بن العاص : « تبعوه إما راغب فى الدين ، وإما راهب مقهور بالسيف » وأما عن سائر الناس فقد أجاب عمرو بن العاص « الناس قد رغبوا فى الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا فى ضلال مبين ... »

وبالرغم من سرعة استجابة ملكى عمان لدعوة الرسول الكريم إلى الإسلام ، فإننا نلمس من الروايات التاريخيه أن عبد بن الجلندى كان أسبق من أخيه جيفر إلى تقبل الدعوة ، ذلك لأن جيفرا فكر لبضعة أيام معدوده فى مصير ملكه إذا هو أسلم ، وخاصة أن جيفرا كان مقدما فى الملك على أخيه عبد . كذلك نتبين من الروايات التاريخية أن جيفرا كان واثقا من منعة بلاده وقوة عتادها فضلا عن بعد الشقة بينها وبين الحجاز ، ولهذا فإن إسلامه هو وأخيه لم يكن عن ضعف أو خوف أودعة . وفى بعض الروايات التى تفصح عن تفكير جيفر فى ملكه ، وثقته بقوة بلاده وذلك قبل إعلان إسلامه قوله لعمرو بن العاص رسول النبى عليه الصلاة والسلام إليه : « ... إنى فكرت فيما دعوتنا إليه فاذا أنا أضعف العرب أن ملكت رجلا ما فى يدى ، وهو لا تبلغ خيله هنا ، وإن بلغت خيله ألقت — أى وجدت — قتالا ليس كقتال من لاقى ... »

والحق أن الروايات التاريخية تبين أن عبد بن الجلندى لم يتردد منذ اللحظة التى قابل فيها عمرو بن العاص فى الدخول فى الإسلام ، أما أخوه جيفر فسرعان ما أدرك أن الإسلام لايحول بينه وبين ملكه .

وتؤكد الروايات التاريخية أن عبد وجيفر ابنى الجلندى ظلا فى ملكهما ، ولعل استقلالهما كان استقلالا فى ظل حكومة الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة ، والحق أن الرسول عليه الصلاة والسلام حرص على الدعوة إلى الإسلام ، وعلى إرسال البعوث لتعليم الناس القرآن والسنن ؛ ولجمع الزكاة من المسلمين وذلك لتنفيذ ركن من أركان الدين من ناحية ، ولتأمين نفقات الدولة الإسلامية من ناحية أخرى ، ولمساعدة الفقراء من ناحية ثالثة .

وقد شهد عمرو بن العاص ، رسول النبى إلى ابنى الجلندى ، بحسن إسلامهما ، وبتعاونهما مع رسول النبى وبعملهما على توطيد أركان الدين فى عمان . فكان مما قاله عمرو بن العاص عن عبد وجيفر ابنى الجلندى : « فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا ، وصدقا بالنبى صلى الله عليه وسلم وخليا بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لى عونا على من خالفنى ، فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها فى فقرائهم ، فلم أزل مقيما فيهم حتى بلغنا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٧

وفود ازد عمان

دخل الإسلام فى عمان منذ أن دخل عبد وجيفر ابنى الجلندى فى الدين الحنيف ، بين السنة السادسة والثامنة للهجرة النبوية . وفى الوقت نفسه نسمع أن وفادات تتابعت على رسول الله صلى عليه وسلم قبل ذلك ، تعلن إسلامها منذ السنة الخامسة للهجرة (١) ولم يتخلف أزد عمان عن الوفود فتتابعت وفودهم ، وتذكر كتب السيرة أن وفداً من أزد عمان فيهم اسد بن يبرح الطاحى لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألوه أن يبعث معهم رجلا يقيم أمرهم ، فقال لمخرّبة العبدى ، واسمه مُدْرِك بن خُوط ، ابعثى إليهم ، فإن لهم علىّ منّة ، أسرونى يوم جنوب فمنوا علىّ ، فوجه معهم إلى عمان . وقدم بعد هذا الوفد سلمة بن عياذ الأزدى فى ناس من قومه فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يعبد وما يدعو إليه ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ادع الله أن يجمع كلمتنا وألفتنا فدعا لهم ، واسلم سلمة ومن معه (٢)

وفى رواية من روايات السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى أهل عمان العلاء بن الحضرمى ليعلمهم شرائع الإسلام ويصدق أموالهم (٣).

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٤

(٢) ابن سعد . الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٤ — ١١٥

(٣) ابن سعد . الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٤

آحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى فضل إسلام أهل عمان

وقد دون الرواة أحاديث عن سيد الخلق عليه الصلاة والسلام فى فضل إسلام أهل عمان ، فقد روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء من أمتى قالوا : ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال : الذين يعملون بكتاب الله حين يترك ، ويتمسكون بحبل الإسلام حين يقطع » . قال محمد ابن أحمد : الغرباء أهل عمان من سره أن ينظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى الصلحاء من أهل عمان (١) .

وروى أحمد من طريق أبى لبيد قال : خرج رجل منا يقال له بيرح ابن أسد فرآه عمر فقال : ممن أنت ؟ قال : من أهل عمان . فأدخله على أبى بكر فقال : هذا من أهل الأرض التى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إنى لأعلم أرضا يقال لها عمان ينضح بناحيتها البحر ، لو أتاهم رسولى ما رموه بسهم ولاحجر» .

وعند مسلم من حديث أبى برزة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا إلى قوم فسبوه وضربوه ، فجاء إلى رسول

---

(١) انظر : السالمى : تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان ج ١ ص ٧ .

الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولاضربوك » .

وفى حديث مازن بن غضوبة قال : قلت : يارسول الله صلى الله عليك وسلم ادع الله تعالى لأهل عمان ! فقال : اللهم اهدهم وأثبهم . فقلت : زدنى يارسول الله : فقال : اللهم ارزقهم العفاف والكفاف والرضا بما قدرت لهم . قلت يارسول الله : البحر ينضح بجانبنا ادع الله فى ميرتنا وخفنا وظلفنا ! قال : اللهم وسع عليهم فى ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم ! قلت : زدنى ، قال : اللهم لاتسلط عليهم عدواً من غيرهم ! ! قل يا مازن آمين ! فإن آمين يستجاب عنده الدعاء . قال : قلت آمين ! قال : فلما كان فى العام القابل وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فقلت : يا المبارك ابن المباركين الطيب ابن الطيبين قد هدى الله قوما من أهل عمان ومنّ عليهم بدينك ، وقد أخصبت عمان خصبا هنيا وكثرت الأرباح والصيد بها . فقال عليه السلام : دينى دين الإسلام سيزيد الله أهل عمان خصبا وصيدا فطوبى لمن آمن بى ورآنى ، ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى ولم ير من رآنى ، وإن الله سيزيد أهل عمان إسلاما (١) .

---

(١) انظر : السالمى : تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان . ج ١ ص ٧-٨

عمرو بن العاص وأهل عمان

أما عمرو بن العاص ، حامل دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ملكى عمان، وصاحب صدقاتها، وعامل الرسول عليها، فقد ظل فيها قرابة ثلاث سنوات وغادرها بعد أن وصله نبأ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام . وحين غادر عمرو بن العاص عمان كان مطمئنا إلى حسن إسلام العمانيين ، وكان يتأهب ليكون فى خدمة الإسلام فى مواقع أخرى كانت تتطلب خدماته وخدمات رجال الإسلام . والمعروف أن عمرو بن العاص شارك بعد ذلك فى القضاء على حركة الردة ، ثم كان أحد القواد الأربعة الذين أرسلهم أبو بكر الصديق لفتح بلاد الشام ، وبعدها كان قائد فتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب .

وحين أراد عمرو بن العاص العودة إلى المدينة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام كان من كرم العمانيين أن أصروا على أن يصحبه وفد منهم وعلى رأسه عبد بن الجلندى ملك عمان . فقدموا بعمرو بن العاص على أبى بكر الصديق رضى الله عنه . ولما دخلوا على الخليفة قام سارف بن ظالم ، أحد اعضاء الوفد ، وقال : « ياخليفة رسول الله صلى الله عليه

وسلم ويامعاشر قريش هذه أمانة كانت فى أيدينا وفى ذمتنا وديعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد برئنا منها إليكم » فقال أبوبكر : جزاكم الله خيرا ! واثنى عليهم المسلمون خيرا ، وقام الخطباء بالثناء عليهم والمدح فقالوا : كفاكم معاشر الأزد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وثناؤه عليكم . أما عمرو بن العاص فلم يدع شيئا من المدح والثناء إلا قاله فى الأزد ، ثم جاء وجوه الأنصار من الأزد وغيرهم مسلمين على عهد ومن معه .

أهل عمان وردة العرب

لم يغب عن أبى بكر الصديق خليفة رسول الله أن أهل عمان كانوا سندا للإسلام والمسلمين فى محنة الردة التى كان على الدولة العربية الإسلامية الوليدة أن تجتازها . فقد واجهت أبا بكر الصديق فى أول خلافته حركة الردة التى بدت طلائعها قبيل وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، والتى كانت حركة دينية اجتماعية سياسية . فقبيل وفاة الرسول عليه السلام ارتد طليحة الأسدى وادعى النبوة فى أطراف نجد ، وكذلك فعل الأسود العنسى فى اليمن . ثم ظهر مسيلمة فى اليمامة وادعى أنه نبى الله وخليفة الرسول وتبعه كثيرون من بنى حنيفة ، وقامت سجاح إحدى نساء بنى تميم وادعت النبوة واتفقت مع مسيلمة وتزوجته .

هذا فضلا عن جماعات من القبائل لم تعترف بحكومة أبى بكر وامتنعت عن أداء الزكاة . وبالإضافة إلى ذلك كان هناك العرب الذين ارتدوا تماما لأن الإسلام لم يتمكن فى قلوبهم ولأنهم أسلموا مقلدين أو خائفين . وهكذا نرى أن المرتدين والمتنبئين أحاطوا بعمان فلم تهتز وبقيت على ولائها للإسلام . ولعلنا نلحظ الفارق الكبير بين موقف عمان من عمرو بن العاص الذى كرمه أهل عمان واعترف هو بحسن إسلامهم وبين موقف البحرين من العلاء الحضرمى

عامل للرسول عليه الصلاة والسلام هناك ، إذ اضطر العلاء الحضرمى إلى الاعتصام فى حصن إلى الشمال من هجر حتى أقبل خالد بن الوليد لنجدته بعد أن قضى على مسيلمة .

ولم يفت أبو بكر الصديق ، خليفة رسول الله أن يشيد بحسن إسلام العمانيين . فغداة وصول عمرو بن العاص إلى المدينة مع عبد ابن الجلندى ووفد الأزد ، يذكر الرواة ما نصه « فلما كان من الغد أمر أبو بكر فجمع الناس من المهاجرين والأنصار وقام أبو بكر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبى فصلى عليه وقال : معاشر أهل عمان ، إنكم أسلمتم طوعا لم يطأ رسول الله ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشمتموه ما جشمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ولا تشتت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم . ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم ، وأطعتموه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم ، فأى فضل أبر من فضلكم ؟! وأى فعل أشرف من فعلكم ؟! كفاكم قول رسول صلى الله عليه وسلم إلى يوم المعاد . ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرما ، ورحل عنكم إذ رحل مسلما وقد منّ الله عليكم بإسلام عبد وجيفر ابنى الجلندى وأعزكم الله به وأعزه بكم ، وكنتم على خير حال وجميل حتى أتتكم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأظهرتم ما يضاعف فضلكم ، وقمتم مقاما حمدناكم فيه ، ومحضتم بالنصيحة ، وشاركتم بالنفس والمال فيثبت الله به ألسنتكم

ويهدى به قلوبكم ، وللناس جولة فكونوا عند حسن ظنى فيكم . ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ولا أن ترجعوا عن دينكم. جزاكم الله خيرا »(١) .

والحق أننا لم نسمع عن حركة ردة فى عمان اللهم إلا حركة ذكرها البلاذرى فى فتوح البلدان والطبرى فى تاريخه ، ومن أخذ عنهما من المؤرخين مثل ابن الأثير فى الكامل. فيذكرون أن الأزد ارتدت وعليها لقيط بن مالك ذو التاج الأزدى وانحازت إلى دبا(٢) فوجه أبو بكر رضى الله عنه إليهم حذيفة بن محض الغلفانى (أو حذيفة ابن محصن البارقى) من الأزد وعكرمة بن أبى جهل بن هشام المخزومى أو عرفجة البارقى ، فواقعا لقيطا ومن معه فقتلاه ، وسبيا من أهل دبا سبيا بعثا به إلى أبى بكر رحمه الله ، وقيل إن لقيط ابن مالك كان يسامى فى الجاهلية الجلندى ، وادعى النبوة ، وألحأ جيفر وعبد إلى الجبال والبحر ، وأن جيفرا كتب إلى أبى بكر يخبره بذلك ويطلب منه النصرة ، وقد أمر أبو بكر قائديه أن يجدا السير حتى يقدما عمان فإذا كانا قريباً منها كاتبا جيفرا وعبدا وعملا برأيهما . وروى أن المسلمين قتلوا من المشركين ١٠,٠٠٠ وأرسلوا خمس الغنائم إلى أبى بكر مع عرفجة وأقام حذيفة بعمان

---

(١) انظر : السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٨ — ٩ .

(٢) توجد دبا الآن فى الفجيرة إحدى الإمارات العربية المتحدة وبها مقابر قيل إنها للصحابة وأهل الردة .

حتى يمهد الأمور ويسكن الناس(١) أما الرواة العمانيون فهم ينفون حركة الردة نفيا قاطعا ويعلقون على ما ذكره بعض المؤرخين عن ردة عمان بأنها لم تكن حركة ردة ، وإنما كانت المسألة بسبب خلاف حول زكاة إحدى النساء فى دبا وخاف حذيفة بن محصن الغلفانى أن يكون القوم قد ارتدوا فأغار عليهم وسبا أهل دبا بحق وبغير حق فذهب وفد من عُمان إلى أبى بكر وقالوا له: « يا خليفة رسول الله إنا على إسلامنا لم ننتقل عنه ولم نمنع زكاة ولم ننزع يداً من طاعة ولم نرجع عن دين ، وقد عجل علينا صاحبك وكففنا أيدينا إلى أن أتيناك » . وكان وفد عمان بالمدينة حين توفى أبو بكر الصديق وولى عمر بن الخطاب الخلافة فأمر عمر برد سبى دبا بعد أن عنف حذيفة تعنيفا شديدا(٢) .

---

(١) انظر : البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٨٢ — ٨٤ ، والطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٦١ — ٢٦٢ .

(٢) انظر : السالمى ، تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان ج ١ ص ٥١—٥٧ ونلاحظ أن السالمى يعلق على رواية المؤرخ ابن الأثير فى كتابه الكامل ، والخاصة بحركة الردة فى عمان بقوله « وكله باطل لا أصل له والله أعلم » السالمى ، تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٧ .

اشتراك عمان فى الفتوحات الإسلامية

لم تتخلف عمان فى فجر إسلامها عن الفتوحات الإسلامية العظيمة برا أو بحرا . وتذكر الروايات التاريخية أن الملك عبد بن الجلندى حين كان بالمدينة طلب من أبى بكر الصديق أن يقوم بحرب الغساسنة (آل جفنة) على حدود الشام . واستجاب له أبو بكر وأمره على سرية كان فيها حسان بن ثابت الأنصارى . ولما عادت سرية عبد ابن الجلندى من ديار آل جفنة قام حسان وقال : « قد شهر مقام عبد فى الجاهلية والإسلام ، فلم أر رجلا أحزم ولا أحسن رأيا وتدبيرا من عبد ، وهو والله ممن وهب نفسه فى يوم غارت صباحه وأظلم صباحه » فسر ذلك أبا بكر وقال : « هو يا أبا الوليد كما ذكرت ، والقول يقصر عن وصفه ، والوصف يقصر عن فضله » فبلغ ذلك عبد ، فبعث إليه بمال عظيم وأرسل إليه : أن مالى يعجز عن مكافأتك فاعذر فيما قصر واقبل ما تيسر ، ثم إن أبا بكر كتب كتابا إلى أهل عمان يشكرهم ويثنى عليهم(١) .

أما دور عمان فى فتح العراق وفارس وخاصة من ناحية البحر فإنه لا شك كان عظيما ، ومع ذلك لا نقرأ عنه إلا أسطراً قليلة فى روايات المؤرخين . ومن هذه الروايات التاريخية القليلة نعرف

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٤٨ .

أن الخليفة عمر بن الخطاب طلب من والى عمان عثمان بن أبى العاص الثقفى ، بعد وقعة جلولاء (١٦ هـ/٦٣٧ م) أن يقطع البحر لمحاربة كسرى فارس . فخرج معه ثلاثة آلاف محارب ، أو ألفان وستمائة ، من الأزد ، وراسب وناجية وعبد القيس وأكثرهم من الأزد ، فعبر بهم عثمان بن أبى العاص من جلفار(١) إلى جزيرة كاوان وفيها قائد العجم ، فسالم القائد الفارس عثمان بن أبى العاص ولم يقاتله .

ولما علم يزدجرد كسرى فارس بذلك ، كتب إلى عظيم كرمان « أن أقطع إلى جزيرة بنى كاوان ، فحل بين العرب الذين بها وبين إخوانهم » ، فقطع فى ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف هرموز إلى رأس القسم (واسمها جاش فعربوها) فلقيه ابن أبى العاص فى جزيرة القسم فتقاتلوا قتالا شديدا فقتل الله شهرك وهزم المشركين وقيل إن يزدجرد وجه إلى العرب شهرك ، فى أربعين ألفا من الأساورة(٢) وكان هذا النصر للعرب على يد العمانيين ، كما كان قتل شهرك بيد العمانيين . وكانت العرب تدعو شهرك ابن الحمراء(٣)

---

(١) جلفار أو جرفار هى مدينة خصبة بناحية عمان وأكثر ما تسمى جلفار (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٦٢٢) وقد اندثرت هذه المدينة وقامت الآن بالقرب من أنقاضها رأس الخيمة بدولة الإمارات العربية المتحدة وما زالت أطلالها باقية (أبو بشير محمد بن حميد السالمى : نهضة الأعيان بحرية عمان ص ١٨ — مطابع دار الكتاب العربى — مصر) .

(٢) قال الفيروزابادى فى القاموس المحيط «باب الراء فصل السين مادة سور» والأسوار بالضم والكسر : قائد الفرس والجيد الرمى بالسهام والثابت على ظهر الفرس . والجمع أساورة وأساور .

(٣) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٢ .

ولاشك أن انتصار أهل عمان الحاسم على شهرك كان من أهم الأسباب التى قضت على تطلعات الفرس فى تطويق العرب من الجنوب، وقضى هذا الانتصار بيد أهل عمان على فرصة أخيرة للفرس لاستعادة ملكهم وللانتصار على العرب .

والحق أن أهل عمان ساهموا مساهمة فعالة فى الفتوحات الكبرى فى البر والبحر فشاركوا فى حروب الشام وفارس ولم يتخلفوا عن واجب الجهاد سواء أكان الجهاد بالدم أو بالمال . وقد أشار إلى فضل العمانيين فى الجهاد الخليفة الرشيد أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب . وتتابع بعد ذلك جهاد أهل عمان لنشر ألوية الإسلام فى مختلف الأصقاع وخاصة فى شمال أفريقية وفى شرقيها ووسطها .

سلطنة عمان
وزارة التراث القومى
المكتبة
الرقم العام : ١٧٨
الرقم الخاص :

عمان والحركه العلمية فى فجر الإسلام

بعد أن اعتنق العُمانيون الإسلام أقبلوا بحماس بالغ على دراسة القرآن والتفسير والحديث وآداب اللغة العربية وغير ذلك من مختلف العلوم والفنون والآداب الإسلامية العربية . وكان شأن عمان فى ذلك شأن كافة الأمصار الإسلامية وديار الإسلام ، إذ كان أكثر العلماء الذين ظهروا آنذاك علماء دين . وأصبحت عُمان بفضل فقهائها وعلمائها وأدبائها مركزا هاما للحركة العلمية الدينية فى الدولة الإسلامية . ويجدر بنا أن نلاحظ أنه ليس من السهل تمييز طائفة الفقهاء والعلماء والأدباء فى فجر الإسلام تمييزا دقيقا لأن هذه الطوائف تلتقى فى بعض الأحيان ؛ وإن كان المعروف أن الفقهاء هم حملة علوم الشريعة والعبادات ، وأما العلماء فهم المتخصصون فى فن واحد وأما الباقون ممن تكلموا فى فنون مختلفة فهم الأدباء .

ولم يكن عجيبا أن تزدهر عمان منذ فجر الإسلام ازدهارا كبيرا فهى فى ذلك مكملة لمسيرتها الحضارية عبر آلاف السنين . وفضلا عن الازدهار العلمى فى عمان فإنها قامت بنشر الإسلام وتثبيت أقدامه فى أجزاء متفرقة من المعمورة حيثما حل طلاب العلم ، وحيثما وصل التجار العُمانيون ، وحيثما التقى الحجاج فى بيت الله الحرام :

وخرج من عمان العلماء النجباء والبلغاء الخطباء ، وروى أن الجاحظ قال : « لربما سمعت مَنْ لا علم له يقول : ومن أين لأهل عمان البيان ؟ قال . (يعنى عمرو بن بحر وهو الجاحظ) وهل يعدون لبلدة واحدة من الخطباء والبلغاء مايعدون لأهل عمان ؟! منهم مصقلة بن الرقية أخطب الناس قائما وجالسا ومفرداً ومنافسا ومجيبا ومبتدئا ، ثم ابنه من بعده كرب بن مصقلة وهما خطبتا العرب العجوز فى الجاهلية والعذراء فى الإسلام. »(١)

والحق أن كتب المؤرخين والأدباء ، وكتب الطبقات والتراجم تشير إلى كثير من خطباء وأدباء وعلماء عمان فى فجر الإسلام .

ومن أشهر قضاة عمان فى فجر الإسلام كعب بن سور الذى قدم البصرة بعد تمصيرها فولاه عمرو بن الخطاب القضاء فيها .

ومن علماء عمان الأفذاذ أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدى ، وهو من كبار التابعين . ومن العلماء العمانيين صحار بن العباس الصحانى العمانى . ومنهم الربيع بن حبيب الذى أدرك فى شبابه جابر ابن زيد . ومنهم أبو المنذر بشير بن المنذر النزوانى ، ومنير بن النير الجعلانى ، وموسى بن أبى جابر الأزكوى ، ومحبوب بن الرحيل ،

---

(١) انظر السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٩

ومحمد بن المعلى الكندى . ومن علماء عمان البارزين أبو حمزة الشارى المختار بن عوف وهو من بنى سليمة بن مالك بن فهم ، وهو صاحب الإمام طالب الحق عبد الله بن يحيى الحضرمى . وكان أبو حمزة المختار خطيبا مصقعا له الخطب المشهورة ، وروى بعضها مالك بن أنس الذى قال عند روايته : « خطبنا أبو حمزة المختار ابن عوف خطبة حيرت المبصر وردت المرتاب ؛ يعنى أن المبصر فى دينه المخالف لأبى حمزة صار بعد سماع خطبته محتارا غير مبصر لما سمع فيها من الحجج الباهرة والبراهين القاهرة الناقضة لما هو عليه من سوء الاعتقاد ، وأن المرتاب فى مذهبه رجع بسماع خطبة أبى حمزة إلى مذهب الحق وترك ما كان عليه من الريب ...»(١) .

ومن خطباء عمان صعصعة بن صوحان بن زيد وأخيه . ومن خطبائهم الذين اشتهروا بالارتجال وثاقب الفكر وحسن البديهة والرأى مرة بن الهليد الأزدى ؛ وكان رسول المهلب بن ابى صفرة إلى الحجاج بن يوسف الثقفى .

ومن أهل عُمان الخليل بن أحمد الأزدى الفراهيدى ، خرج إلى البصرة وأقام بها فنسب إليها وهو صاحب كتاب « العين » امام

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ١١

الكتب فى اللغة ، وكان الخليل بن أحمد قد أخذ النحو عن أبى الأسود الدؤلى ، وهو شيخ سيبويه فى النحو . ومن أهل عمان أبو بكر أحمد بن محمد بن أبى الحسن بن دريد الأزدى ؛ صاحب كتاب الجمهرة ، وله مصنفات عدة ؛ وكان يملك ناصية فنون العلم والأدب وكان لا يدانيه أحد فى الخطابة والشعر والأدب . ومن أهل عمان أبو العباس المبرد صاحب كتاب الكامل .

وهذه الأمثلة قليل من كثير فى بحر العلوم الزاخر ، إذ كانت عمان منذ فجر الإسلام فيها تزخر بالأدباء والعلماء والفقهاء ، وأهل الفتيا ، وأهل الفكر والسياسة ، وأهل الحرب والتجارة . وظلت عُمان تعطى وتأخذ فى العلوم والفنون والآداب والسياسة والحرب ، حتى وقتنا الحاضر ، باستثناء الفترات التى غلبت فيها الفتن والتى حاول فيها المغتصبون سلب سيادتها وتفتيت دولتها .

وهكذا نرى أن الإسلام دفع عمان دفعة قوية نحو التطور والحضارة وساهم مساهمة فعالة فى إثراء الفكر العمانى . وفى إرساء الحضارة العمانية المجيدة . وأصبحت عمان الإسلامية العربية مركزاً علميا هاما فى الدولة الإسلامية الشاسعة الأرجاء . وظهر دورها الفعال والواضح فى مختلف نواحى الحضارة الإسلامية دون أن تفرط فى علاقاتها مع سائر الدول والشعوب التى اتصلت بها منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر بحكم موقعها الجغرافى وصلاتها البحرية والتجارية والسياسية والثقافية .

الآباضية فى عمان

حين أسلم أهل عُمان كان إسلامهم عن فهم واقتناع وليس عن خوف ورهبة . وهذا واضح من الروايات التاريخية التى تحدثنا عن وفود العمانيين إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتلك التى تحدثنا عن رسل الرسول الكريم إلى أهل عمان ، فضلا عن الروايات التى تبين ارتياح أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب لحسن إسلام العمانيين .

والمعروف أن العمانيين أقبلوا منذ قبولهم للدعوة الإسلامية على دراسة الإسلام والتشريع الإسلامى من أصوله الصحيحة وهى القرآن الكريم ثم الحديث والسنة الشريفة ، ثم الإجماع .

واتصل العمانيون بأصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ليأخذوا عنهم دينهم الصحيح فأخذوا عن أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وأبى عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمار بن ياسر ، وعبدالله بن مسعود ، وأبى ذر الغفارى ، وسلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، وأبى بن كعب .

كذلك أخذ العمانيون العلم عن غير هؤلاء من أصحاب

الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأصبحت الصلة العلمية قوية بين عُمان والمدينة . وحين مصر الخليفة عمر بن الخطاب البصرة فى سنة ١٦ هـ قدم إليها نفر من العمانيين كان منهم كعب بن سور الذى عينه عمر بن الخطاب قاضيا عليها . وأخذت البصرة تنمو تجاريا وعلميا وسكانيا وقويت صلتها بعمان حتى شبهوا العلم « بطائر باض بالمدينة وفرخ بالبصرة وطار إلى عمان .»(١)

وحين يتكلم ياقوت الحموى (المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩ م) عن عُمان يقول : « وأكثر أهلها فى أيامنا خوارج أباضية ليس بها من غير هذا المذهب إلا طارئ غريب وهم لايخفون ذلك »(٢) .

والحق أنه لايمكن للباحث أن يدرس تاريخ عُمان الإسلامى دون أن يفهم الحركة الأباضية من حيث نشأتها وتطورها ونشاطها. والمعروف أن المذهب الأباضى فى عمان أقدم من اسمه ، كما أن الأباضية فى عمان قديمة قدم الإسلام فيها ، وتعتبر عمان الموطن الأم للأباضية فى العالم الإسلامى . لكننا نلاحظ أن جل المؤرخين وكتاب الفرق والعقائد والنحل القدماء والحديثين ، فضلا عن سائر الكتاب ، يعتبرون الأباضية إحدى فرق الخوارج ؛ وهذا

---

(١) انظر السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٦٦

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٢١٥

واضح مثلا فى كتابات الأشعرى (١) ، والملطى الشافعى (٢) ، وعبد القاهر البغدادى (٣) ، والخطيب الرازى (٤) ، وابن حزم الأندلسى (٥) والشهرستانى (٦)، والشاطبى الغرناطى (٧) فضلا عن سائر الكتاب المعاصرين المستشرقين منهم وغير المستشرقين (٨) .

---

(١) الأشعرى (أبو الحسن على بن إسماعيل ت ٣٣٠ هـ) : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين . ج ١و ٢ . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م .

(٢) الملطى الشافعى المعروف بالطرائفى (أبو الحسن محمد أحمد بن عبد الرحمن . ت ٣٧٧هـ) : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع . الطبعة الأولى . القاهرة ١٣٦٨ هـ . قدم له وعلق عليه محمد زاهد بن الحسن الكوثرى وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقا .

(٣) البغدادى (عبد القاهر بن طاهر البغدادى . ت ٤٢٩ هـ ١٠٣٧ م) : الفرق بين الفرق. دار الآفاق الجديدة . بيروت . الطبعة الأولى . ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م)

(٤) الرازى (الإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب . ت ٦٠٦ هـ) : كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .

(٥) ابن حزم الأندلسى (الإمام أبومحمد على الظاهرى . ت ٤٥٦ هـ) . الفصل فى الملل والأهواء والنحل . مؤسسة الخانجى بمصر .

(٦) الشهرستانى (محمد بن عبد الكريم . ت ٥٤٨هـ ١١٥٣ م) كتاب الملل والنحل . أخرجه محمد بن فتح الله بدران . الطبعة الأولى . مطبعة الأزهر .

(٧) الشاطبى الغرناطى (أبوإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمى) : الاعتصام ج ١و ٢ . المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٣٣٢هـ .

(٨) انظر مثلا : فلهوزن (يوليوس) الخوارج والشيعة . ترجمة عبد الرحمن بدوى . القاهرة ١٩٥٨ م ، على مصطفى الغرابى : تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين . الطبعة الأولى . القاهرة ١٩٤٨ م .

وأدخلهم البعض عن جهل أو تعصب ضمن فرق الغلاة الذين غلوا بدينهم وخرجوا عن أصول الإسلام . ولسنا نشك فى أن أعداء الإسلام فى مختلف الأزمنة قد دسوا نصوصا ليحطموا دولة الإسلام ويدمروا كيان المسلمين. وفى اعتقادنا أن إطلاق صفة الخوارج على الأباضية يرجع إلى الجهل بالمصادر الأباضية والفقه الأباضى . وربما يرجع الخلط بين الأباضية والخوارج عند عامة الناس إلى أن الأباضية أنفسهم فى عمان وغيرها يستخدمون أحيانا كلمة « خوارج » حين ينقلون عن الكتاب القدماء والحديثين ولكنهم يتداركون هذا الخطأ فيقولون « الخوارج » يعنى «المسلمين» وذلك حين يكون الحديث عن الأباضية ، مثلما نرى فى كتاب «تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان » للشيخ أبى محمد عبد الله بن حميد بن سلوم السالمى المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ . وهو من علماء الأباضية فى عمان فى عصرنا الحديث .

وسواء أكان سبب هذا الخلط بين الأباضية والخوارج مقصودا أو غير مقصود ، فإن الأباضية يشتركون مع الخوارج فى إطلاق اسم « الشراة » على أنفسهم أحيانا فضلا عن أنهم يتفقون مع الخوارج فى بعض آرائهم حول إمامة المسلمين . فيذكر مؤرخوا الأباضية أحيانا أن الإمام الأباضى « بويع على الشراء » (١) أو كان

(١) انظر السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢١٤

« اماما شاريا »(١) أو بويع على قطع الشرى » .(٢) وقد سمى « الأباضية » أنفسهم « الشراة » ، وكذلك سمى الخوارج انفسهم « الشراة » وذلك من قولهم : شرينا أنفسنا لدين الله فنحن لذلك شراة » ، (٣) أو من الآية القرآنية (إنَّ اللهَ اشترى مِنَ المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنَّة يقاتلُون فى سبيل اللهِ فيَقتلُون ويقتَلون وعداً عليه حقاً فى التَّوراة والإنجيل والقُرآن ومن أوفى بعهدهِ من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .(٤) أما « قطع الشرى » فمعناها من يتقدم فيقاتل عن القوم ، أو من يتقدم إلى السلطان فيتكلم عن القوم ؛ وهى عبارة استخدمها كل من الأباضية والخوارج .

أما فيما يتعلق بخلافة المسلمين أو « الأمامة » فإن الأباضية ، والخوارج يعتقدون بصحة خلافة أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان فى صدر خلافته . ورأى الأباضية

---

(١) المصدر الصابق ج ١ ص ٢١٤

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٤ ، وابو هلال السيابى السمائلى : إزالة الوعثاء عن اتباع أبى الشعثاء . ص ٤٧ « تحقيق دكتورة سيدة إسماعيل كشف القاهرة ١٩٧٩ م »

(٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ٣٥٥-٣٥٦ « طبعة بولاق - القاهرة ١٢٧٠ هـ »

(٤) سورة التوبة : آية ١١١ .

والخوارج ، أن عثمان بن عفان بعد السنين الست الأولى من خلافته أحدث أمورا لم يعمل بها صاحباه من قبل ؛ أى لم يعمل بها أبو بكر وعمر . ولما رأى المؤمنون ما أحدث عثمان أتوه وكلموه وذكروه بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة أبى بكر وعمر ، لكنه ضرب من شاء منهم وسجن من سجن ونفى من نفى . كذلك اعتقد الخوارج ، والأباضية بصحة خلافة على بن أبى طالب إلى أن قبل تحكيم عبد الله بن قيس ابى موسى الأشعرى ، وعمرو بن العاص ، وخلع نفسه وصارت الإمامة يلعب بها الحكمان فاعتزله المسلمون عند ذلك وقدموا على أنفسهم إماما وهو عبدالله بن وهب الراسبى وذلك فى ١٠ شوال سنة ٣٧ هـ (١).

ومن الطبيعى أن تتشابه وأن تلتقى آراء السنة مع آراء المعتزلة أو الشيعة أو الأباضية أو الخوارج أو المرجئة فالمنبع والمصدر واحد ألا وهو الإسلام ؛ لكن كل مذهب له جذوره التاريخية والسياسية والفكرية .

---

(١) هذه الآراء فى كتاب عبد الله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان فى : البرادى (ابو القاسم بن إبراهيم ت٦٩٧ هـ) : الجواهر المنتقاة ص ١٥٦-١٦٧ « طبعة حجرية القاهرة ١٨٨٤ م » ، السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٦٠-٦١ ، وأبو هلال السيابى السمائلى : إزالة الوعثاء عن اتباع أبى الشعثاء : ص ٨٦-١٠١ « تحقيق الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف . طبعة القاهرة ١٩٧٩ م » .

وقد نشرت وزارة التراث القومى والثقافة فى سلطنة عمان فى هذه السنة مخطوطتين بعنوان : «أصدق المناهج فى تمييز الأباضية من الخوارج» و«إزالة الوعثاء عن اتباع أبى الشعثاء» للعالم الأباضى المعاصر أبى هلال سالم بن حمود بن شامس السيابى السمائلى (١) . وقد حرص مؤلف المخطوطتين على تصحيح الآراء التى وردت فى الكتب القديمة والحديثة عن الأباضية ، كما نفى نفيا قاطعا أن الأباضية من الخوارج ، فضلا عن حديثه عن أئمة الأباضية الأول ، والحديث عن جوهر الفقه الأباضى .

والمؤلف يدعو بطريق مباشر وغير مباشر إلى تصحيح الروايات المدسوسة على الإسلام وإلى التقريب بين المسلمين فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى بدلا من توسيع الهوة وإيجاد الفرقة بين أبناء الدين الإسلامى ، وهو فى عمله هذا يدعو إلى الاعتصام بحبل الله كما دعا إلى ذلك من قبل الإمام الشاطبى الغرناطى فى كتابه : «الاعتصام» .

وصدق الله العظيم إذ قال : (واعْتَصِمُوا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرَّقُوا واذكرُوا نعمتَ اللهِ عليكم إذ كنتُمْ أعداءً فألف بينَ قلوبكم فأصبحتمُ بنعمته إخواناً . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين اللهُ لكم آياتِهِ لعلكم

---

(١) قام بتحقيق وشرح المخطوطتين الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف « مطبعة سجل العرب » القاهرة ١٩٧٩ م .

تهتدون . (١)

والحق أن الدارس للمصادر والمراجع الأباضية ولتاريخ عُمان، يرى الأباضيين ينكرون نسبتهم إلى الخوارج كما يتبرءون من الفرق الغالية . فالخوارج فى نظر جل المؤرخين ، وكتاب الفرق والعقائد ، والفلاسفة والأدباء ، هم الذين خرجوا على علىّ بن أبى طالب حين قبل التحكيم بينه وبين معاوية بن أبى سفيان سنة ٣٧ هـ .

أما أباضية عُمان وزنجبار وشرقى أفريقية ، وشمال أفريقية فى جبل نفوسة فى ليبيا ، وجزيرة جربة فى تونس ، ووادى ميزاب فى الجزائر ، وفى غير ذلك من الأماكن فيتبرءون من نسبتهم إلى الخوارج ، والخوارج فى نظرهم معناها الغلو والتطرف أو الخروج على الإسلام .

ويمكننا وصف أباضية عمان بأنهم « أهل الطريق القويم وأهل الصراط المستقيم الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ودعا العرب والعجم إليه وجاهدهم حتى دخلوا فيه رغبا وهبا .»(٢)

ويخلط مؤرخو الفرق والعقائد القدماء أيضا بين الخوارج

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٠٣

(٢) انظر : السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٦٠ .

والأباضية فى عُمان حين يقولون إنه بعد نكبة الخوارج فى النهروان على يد على بن أبى طالب سنة ٣٨ هـ سار من الخوارج رجلان إلى عُمان ومن أتباعهما خوارج عمان . (٢)

والحق أن فقهاء ومؤرخى الأباضية قديما وحديثا يؤكدون أن مذهبهم هو الإسلام القائم على القرآن الكريم ، وعلى الأحاديث النبوية وعلى السنة الشريفة ، وعلى الاجتهاد ، وعلى آثار أئمة الهدى والعلم بالله . ويجدر أن نشير هنا إلى أن الأباضية يختلفون عن فرق الخوارج الأزارقة والصفرية والنجدية وغيرها من فرق الخوارج التى ذكر عبد القاهر بن طاهر البغدادى أنها عشرون فرقة ، والتى ذكر المقريزى (١) أنها اثنتان وعشرون فرقة

فالأباضية فى عمان اختاروا طوال تاريخهم طريق الاعتدال وابتعدوا عن التطرف وجعلوا هدفهم الرئيسى إقامة تعاليم الدين الإسلامى ، أى أنهم ربطوا بين الإيمان وبين العلم والعمل . فضلا عن أنهم اجتهدوا طوال العصور والأزمنة التاريخية فى نشر الإسلام حيثما حل طلاب العلم ، وحيثما وصل التجار العُمانيون ، وحيثما

---

(١) البغدادى (عبد القاهر بن طاهر أبى منصور) : مختصر كتاب الفرق بين الفرق . ص ٧١ (مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٢٤ م)

(١) المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ٢ ص ٣٥٤-٣٥٥ .

التقى الحجاج فى بيت الله الحرام . والمعروف أنه لما عظم خطب الخوارج ولما ثار نافع بن الأزرق هو وأصحابه الخوارج الأزارقة بالبصرة فى سنة ٦٥ هـ ، كتب عبد الله بن الزبير من مكة إلى المهلب بن أبى صفرة القائد العُمانى الأزدى الشهير ، وكان آنئذ بخراسان — يوليه حرب الخوارج . كذلك استنجد بالمهلب بن أبى صفرة ، أهل البصرة . واستجاب المهلب للدعوة وأنقذ البصرة من الخوارج الأزارقة حتى عرفت البصرة به فقالوا « بصرة المهلب » . وظل المهلب بن أبى صفرة العمانى — هو وبنوه — يقاتلون الخوارج تسع عشرة سنة بعضها فى أيام ابن الزبير وباقيها فى خلافة عبد الملك بن مروان وولاية الحجاج على العراق . وقد حاربهم المهلب بالرأى والمكيدة كما حاربهم بالسيف (١) .

---

(١) انظر ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٨م) : الكامل فى التاريخ . ج ٤ ص ٨١ ، ١١٨ — ١٢٠ ، ١٨٢ — ١٨٣ (طبعة بولاق—القاهرة ١٢٧٤ هـ) ، Nicholson (A. Reynolds): Literary History of the Arabs., p. 210 (Cambridge 1930).

والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ج ١ ص ٢٩٦—٢٩٨ (الطبعة الثانية — القاهرة ١٩٤٨ م) ، والسالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٢ ، دكتورة سيدة إسماعيل كاشف : الوليد بن عبد الملك ص ٦٦— ٦٧ (أعلام العرب رقم ١٧— القاهرة ١٩٦٣ م) .

ولم يكن للأباضية هدف لتكوين حزب أو إنشاء مذهب خاص ، فمذهبهم الإسلام ودينهم الإسلام . ولم يكن اعتراض الأباضية على سياسة الخليفة عثمان بن عفان بعد السنين الست الأولى من خلافته ، ولا على الإمام على بن أبى طالب بعد قبوله التحكيم لأسباب شخصية أو لمنفعة مادية ، وإنما لأسباب تمت فى رأيهم إلى العقيدة الإسلامية متخذين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نصب أعينهم (إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هيَ أقومُ ويُبَشرُ المؤمنينَ الذين يعملُونَ الصَّالحاتِ أنَّ لَهُم أجراً كبيراً) (١) .

ولا نلحظ فى تاريخ عمان منذ فجر الإسلام فيها تنافراً بين الأباضية وبين أهل السنة فقد عاشوا فى تآلف فى ظل الدين الإسلامى الحنيف ، واختاروا طريق الاعتدال ، وجعلوا هدفهم الوحيد إقامة شعائر الدين الإسلامى والمحافظة عليه علماً وقولا وعملا ، واتخذوا جميعاً كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نصب أعينهم .

وجدير بالذكر أنه وفد على عمان بعض المذاهب الإسلامية وبعض الحركات الدينية السياسية المعروفة فى تاريخنا الإسلامى ،

---

(١) سورة الإسراء : آية ٩ .

لكن العمانيين لفظوها كما كان الحال فى مصر الإسلامية منذ فجر الإسلام فيها .

والمعروف أن حركة الزنج نجحت جنوب العراق وفى البحرين فترة من الزمن ، أى فى شمال عمان مباشرة ، وذلك منذ القرن الثالث الهجرى . وبالرغم من تغلب الزنج على بعض أنحاء عمان فى القرن الرابع الهجرى فإن العمانيين قضوا عليهم وعلى حركتهم (١) .

والمعروف أيضاً أن القرامطة جاءوا إلى عمان وغلبوا عليها بضع سنين من القرن الرابع الهجرى لكن العمانيين نجحوا فى القضاء عليهم وتطهير البلاد منهم (٢) . وقبل ذلك رفضت عمان مسألة القول بخلق القرآن التى قال بها المعتزلة واعتنقها المأمون العباسى إلى أن أبطل الكلام فيها المتوكل على الله العباسى .

ويؤكد قولنا هذا جميع المصادر الإسلامية التى وقعت فى أيدينا . ولعل تعبير ياقوت الحموى موفق إلى أبعد الحدود حين قال عن أهل عمان : « وأهل البحرين بالقرب منهم بضدهم ،

---

(١) انظر : السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٢٩ — ٢٣٠

(٢) انظر : السالمى . تحفة الأعيان . ج ١ ص ٢١٠ — ٢١٧

كلهم روافض سبابون لا يكتمونه ولا يتحاشون وليس عندهم من يخالف هذا المذهب إلا أن يكون غريباً..» (١)

(أ) مشاهير الأئمة الأباضية فى فجر الإسلام :

١ — الإمام أبو الشعثا جابر بن زيد :

المعروف أن عمان هى موطن إمام الأباضية وعالمها وفقيهها جابر بن زيد الأزدى العمانى .

ولد جابر بن زيد قبيل نهاية خلافة عمر بن الخطاب بين سنتى ١٨ ، ٢٢ هـ (٢) فى بلدة الفرق من أعمال نزوى فى عمان . وجابر من ولد عمرو بن اليحمد ، وهى قبيلة من القبائل الأزدية البارزة فى عمان ، ومنها بنو خروص المشهورون فى تاريخ عمان . وكان جابر بن زيد يكنى بابنته « الشعثاء » التى لا يزال قبرها معروفاً فى الفرق إلى الآن .

وتلقى جابر بن زيد بداية تعليمه فى وطنه عمان . ثم رحل إلى البصرة للاستزادة من العلم والفقه ، وكانت البصرة آنذاك إحدى المراكز العلمية الهامة فى الدولة الإسلامية ، كما كانت

---

(١) ياقوت : معجم البلدان . ج٦ ص٢١٥

(٢) انظر : البرادى . الجواهر المنتقاة . ص ١٥٥

تتصل اتصالا وثيقا بعمان جغرافياً وبشرياً وثقافياً وذلك منذ أن اختطها عتبة بن غزوان فى عهد عمر بن الخطاب .

وكان جابر بن زيد من كبار التابعين ، أدرك سبعين صحابياً من أهل بدر . وكان عبد الله بن العباس — أو البحر — من أعظم أساتذة جابر ، وكان يفخر بتلميذه الذى تعمق فى دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الشريعة الإسلامية . كذلك أخذ جابر العلم عن السيدة عائشة أم المؤمنين ، وعن أنس بن مالك وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعن غيرهم من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وعاصر جابر بن زيد كثير من العلماء والفقهاء مثل الحسن البصرى وعمرو بن دينار وغيرهما لكن جابر تفوق عليهم جميعاً فى العلم والخلق والشجاعة فى الرأى . فكان ينشر العلم فى المساجد والمجامع ويجاهد فى سبيل إحياء سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويدعو سراً وعلناً إلى ضرورة محافظة الأمة الإسلامية على شريعة الله متمثلا بقوله تعالى :

(كنتم خيرَ أمة أخرجت للناس تأمرُون بالمعرُوف وتنهون عن المنكَر وتؤمنون بالله ولو آمن أهلُ الكتابِ لكانَ خيراً لهم منهم المؤمنونَ وأكثرُهم الفاسِقون) (١) .

---

(١) سورة آل عمران . آية ١١٠ .

وكان جابر بن زيد مفتى البصرة حتى إن عبدالله بن عباس كان يقول : عجبا لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا وفيهم جابر بن زيد !! وفضلا عن ذلك فإن جابر بن زيد كان من أوائل التابعين الذين عنوا بتدوين الأحاديث والسنن ، وسبق جابر بذلك أصحاب المذاهب الأربعة عند أهل السنة : الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية . وقد روى عن جابر بن زيد أكثر أهل المذاهب واعتمدوا على ثقته وأمانته .

وممن روى عن جابر بن زيد ، البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم ، كما أخذ عنه المفسرون مثل الحصاص ، وتتلمذ على يديه عشرات من العلماء ، واعتبره أهل السنّة من المحدثين الثقاة ومن الفقهاء البارزين .

وإن كانت نشأة الأباضية سياسيا بعد السنوات الأولى من خلافة عثمان بن عفان (حوالى سنة ٢٩ هـ) ، أو حين قبل على ابن أبى طالب التحكيم ، وبايع الخارجون على التحكيم عبد الله بن وهب الراسبى أميرا للمؤمنين فى سنة ٣٧هـ ، إلا أن جابر بن زيد يعتبر مؤسس المذهب والفكر الأباضى . وبالرغم من أن أبا الشعثاء قضى معظم حياته العلمية فى البصرة وفى عصر سلطان الأمويين حيث كانت يد الحجاج الحديدية تبطش بكل مناوئ للدولة ،

الا أنه التزم برسالته الدينية العلمية وألف جابر موسوعته العلمية النفيسة التى عرفت باسم « ديوان جابر » وذلك فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى .

وقيل إن عبد الملك بن مروان وبنيه استولوا على « ديوان جابر » وحرموا دراسته ونشره على الناس . وروى أن العباسيين حرموا على الناس استنساخه ، ووضعوه فى مكتبة دار الحكمة فى بغداد وكانوا يعلمون أنه من مفاخر المسلمين .وكان ديوانه العظيم ثروة علمية عظيمة ومن تراث الأباضية العلمى العظيم (١) .

ويروى أن النفاث فرج بن نصر ، مؤسس النفاثية الأباضية فى جبل نفوسة فى ليبيا ، حصل على نسخة كاملة من ديوان جابر بن زيد وأتى بها إلى جبل نفوسة . لكنه دمر المخطوطة حتى لايستطع مناوئوه الحصول عليها بسبب عداوته للإمام الرستمى فى تاهرت ولعامله فى جبل نفوسة (٢).

---

(١) انظر : الشماخى : كتاب السير ص٧٠ « القاهرة ١٣٠١ هـ » ، محمد على دبوز تاريخ المغرب الكبير ج ٣ ص١٣٨-١٤٩ «القاهرة ١٩٦٣م»، والسيابى السمائلى : أصدق المناهج فى تمييز الأباضية من الخوارج ص ٥٩

(٢) انظر : ابو زكريا يحيى بن أبى بكر : السيرة وأخبار الأئمة . ورقة ١٦ « مخطوطة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٩٠٣٠ ج »، وعلى يحى معمر : الأباضية فى موكب التاريخ ج ١ ص١٤٩ « القاهرة ١٩٦٦ م » .

ولم يقتصر نشاط جابر بن زيد على التعليم والتأليف ، بل كان يعمل جاهدا للرجوع بالدولة الإسلامية إلى نهج أبى بكر وعمر ، وعثمان فى سنى خلافته الأولى ، وعلى بن أبى طالب قبل التحكيم .

وكان يحض تلاميذه على العمل على قيام الإمامة العادلة المبنية على الأصول الصحيحة للإسلام . ويدلنا على شجاعة جابر بن زيد وإيمانه القوى أن دروسه ودعوته كانت فى البصرة حيث كان يسيطر عليها وعلى شرقى العالم الإسلامى منذ سنة ٧٥ هـ الحجاج بن يوسف الثقفى أيام حكم عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ) والوليد ابن عبد الملك الأمويين (٨٦—٩٦ هـ) .وكان أخطر أعداء الأمويين فى العراق الشيعة والخوارج والأباضية ،وإن كان الأباضية لم يظهروا العنف والشدة كما فعل العلويون والخوارج . وكان الحجاج بن يوسف الثقفى سلطانا فى المشرق لا يعرف له سيدا غير الحاكم الأموى . وقد استخدم الحجاج كل أساليب القمع الشديدة مع الفرق المناوئة للحكم الأموى ، فالخلافة كانت المصدر الرئيسى للمنازعات والتفرقة بين المسلمين . وفى وسط هذا الجو المشحون بالإرهاب والشدة ، استمر جابر بن زيد فى دروسه وتعاليمه .

وقد انجذب إليه أفراد من أسرة المهلب بن أبى صفرة رجالا ونساء مثل هند بنت المهلب ، كما أعجب به وبعلمه يزيد بن مسلم كاتب الحجاج .

وفى فترة نفى الحجاج الإمام أبا الشعثاء إلى وطنه عمان . وليس من شك فى أن اتصال أهل عمان العلمى بالبصرة ، فضلاعن اتصال أبناء العشائر والقبائل بعضهم ببعض ، كان من أكبر العوامل التى ساعدت على انتشار علم ومبادىء جابر بن زيد بين مواطنيه العمانيين . هذا بالإضافة إلى حلواه بينهم فترة من الزمن حين نفاه الحجاج من البصرة إلى عمان .

ولا نتبين من المصادر المختلفة متى نفى جابر بن زيد إلى عمان ولا متى عاد ، لكن الثابت أن أبا الشعثاء عاد إلى البصرة مكملا لمذهبه الدينى والسياسى ، محاولا القضاء على الملك المستبد الذى لا يستند على القرآن والسنة والإجماع . وقد توفى جابر بن زيد فى البصرة فى سنة ٩٣هـ أو فى سنة ٩٦ هـ أو فى تاريخ بين هاتين السنتين بعد أن انتفع بعلمه الكثيرون الذين حملوا رسالته من بعده(١) .

٢ — أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة والأباضية بعد وفاة جابر بن زيد :

يعتبر بعض العلماء الأباضية المعاصرين فى عمان أن الحلقة

---

(١) أنظر : السيابى السمائل : إزالة الوعثاء عن اتباع أبى الشعثاء . ص٣١-٣٢ وما جاء فيها من مراجع .

الأولى فى سلسلة المذهب الأباضى ، الصحابى الجليل عبد الله بن العباس(١) أستاذ جابر بن زيد .

أما الحلقة الثانية فهو أبو الشعثاء جابر بن زيد . وأما الحلقة الثالثة فهو الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة التابعى الذى أخذ أكثر ما أخذ من العلم والفقه عن جابر بن زيد ، كما روى عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم مثل عائشة أم المؤمنين وانس ابن مالك وأبى هريرة وعبد الله بن العباس . ولعل الأباضية الذين اعتبروا عبد الله بن العباس الحلقة الأولى فى سلسلة المذهب الأباضى ، استندوا إلى أن جابر بن زيد أخذ الكثير من علمه ورواياته عن عبد الله بن العباس الذى أدرك النبى عليه الصلاة والسلام وسمع منه ، وسمعت الرواية عنه . ولم يكن عبد الله بن العباس من كبار المحدثين فقط وإنما كان من المفسرين ، فضلا عن أنه كان لغويا وأخباريا إذ ينسب إليه تفسير كثير من الألفاظ اللغوية فضلا عن رواية كثير من أخبار الأمم القديمة السابقة للإسلام وكثير من أخبار الجاهلية . أما دور عبد الله بن العباس فى الحياة السياسية فالمعروف أن عبد الله بن العباس لعب دورا فى الشئون السياسية فى الدولة الإسلامية وخاصة فى الفتنة التى وقعت بين على بن أبى طالب وبين

---

(١) انظر . المرجع السابق ص ٣٣ .

معاوية بن أبي سفيان ؛ إذ أنه كان في أول الأمر مخلصا لعلي بن أبي طالب مؤيدا له ولكنه فتر لعلي آخر الأمر .

وتوفي عبد الله بن العباس في مدينة الطائف أيام عبد الملك بن مروان وذلك في سنة ٦٨ هـ .

والحق أنه حين وفاة الإمام أبي الشعثاء كانت الدعوة الأباضية قد بدأت تزدهر وتجذب إليها الكثير من القبائل وأهل الولايات الإسلامية ، وزاد في نجاحها مالاقته دول العالم الإسلامي حينذاك من تعنت كثير من ولاة الأمويين . وتكاتف العلماء العمانيون والبصريون الأباضية من تلاميذ أبي الشعثاء وأصحابه في العمل على انتصار الحركة الإسلامية الأباضية . ونجح تلميذ أبي الشعثاء وزميله ، أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء ، البصري ، في حمل رسالة أبي الشعثاء الدينية والسياسية . وأخذ في تنظيم الحركة الأباضية التي انتصرت في عمان — موطن أبي الشعثاء — وقامت الإمامة فيها ، كما قامت في اليمن وحضرموت وفي شمال أفريقية(١) .

---

(١) راجع عن أبي عبيدة مسلم : محمد علي دبوز : المغرب الكبير ج ٣ ص ١٥٠ — ١٥٣ ، السيابي السمائلي : إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء ص ٣٣ — ٣٩ ، الدكتور عوض خليفات نشأة الحركة الأباضية ص١٠٣-١٢٦ (الأردن — عمان ١٩٧٨ م)

وقد قاسى أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة من سجن الحجاج هو وصديقه وزميله ضمام بن السائب الندبى العمانى أحد رواة الحديث عن الإمام جابر بن زيد، ولكن أبا عبيدة لم يفزع من قسوة سجن الحجاج إذ واصل رسالته الدينيه والعملية بعد خروجه من السجن . وبرع أبو عبيدة مسلم فى تنظيم الدعوة الأباضية ، واعتمد على « حملة العلم » أو « الدعاة الأباضية » الذين كانوا يقومون بالدعوة وخاصة فى البلاد الواقعة فى أطراف الدولة الإسلامية بعيدا عن مركز الدولة ، كذلك اعتمد على التجار الأباضية الأغنياء فى تمويل الدعوة ، فضلا عن سائر الأباضية رجالا ونساء . واستغل أبو عبيدة فى دعوته ظروف الدولة الأموية آنذاك . إذ كان سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ) على علاقة وثيقة مع أسرة المهلب بن أبى صفرة الذين كانوا يساندون أبا الشعثاء والحركة الأباضية . والحق أن علاقة الحجاج ابن يوسف الثقفى العدائية مع أسرة المهلب كان لها أكبر الأثر فى انضمام كثير من أفراد هذه الأسرة رجالا ونساء إلى الإمام أبى الشعثاء . وليس من شك فى أن الأباضية بدءوا يلتقطون أنفاسهم بعد وفاة الحجاج بن يوسف الثقفى فى أيام سليمان بن عبد الملك ، وازدادوا ارتياحا حين تولى عمر بن العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ) الخلافة .

والمعروف فى التاريخ أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان حريصا على توحيد صفوف المسلمين والتزام عدل الإسلام . ولم يكد يتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة حتى أرسل له الأباضية وفداً من علمائهم وهم جعفر بن السماك ، وأبو الحر على بن الحصين العنبرى ، والحتات بن الكاتب ، والحباب بن كليب ، وأبو سفيان قنبر البصرى ، وسالم بن ذكوان . وتذكر بعض المصادر الأباضية أن عبد الملك ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان أباضيا(١) .

وعلى أية حال فإن أباعبيدة مسلم بن أبى كريمة كان يراقب الأحوال فى الدولة الأموية ليعلن الإمامة الأباضية فى الولايات البعيدة عن مركز الدولة. وتذكر المصادر التى بين أيدينا مثل أنساب الأشراف للبلاذرى ، وتاريخ الطبرى ، والأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ، وطبقات الأباضية للدرجينى ، وكتاب السير للشماخى ، وكشف الغمة للازكوى ، أن الإمامة الأباضية فى حضرموت

---

(١) انظر : الدرجينى : طبقات الأباضية . ورقة ٩٩ (مخطوطة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ١٢٥٦ ح ، ٧٢٦١٢ تاريخ تيمور) ، والشماخى كتاب السير ص ٧٩ - ٨٠ ، محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ١٧٥ ، ص ١٨١ -١٨٢ ، الدكتور عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ص ١٠٤ .

واليمن قامت على يد عبد الله بن يحيى الكندى المشهور بطالب الحق فى سنة ١٢٩ هـ (٧٤٦ م) ، وذلك بعد أن أرسل طالب الحق إلى أبى عبيدة يخبره بظلم الولاة الأمويين . وكان أن أمره أبو عبيدة بسرعة التحرك وخاصة أن الدولة الأموية كانت تحتضر أيام مروان بن محمد . أما قائد طالب الحق فكان أبو حمزة الشارى المختار بن عوف الأزدى العمانى الذى بعثه فى موسم الحج من سنة ١٢٩ هـ للاستيلاء على الحجاز . وفعلا نجح أبو حمزة مع جيشه من الأباضية فى دخول مكة بدون قتال فى العاشر من ذى الحجة سنة ١٢٩ هـ ، وتابعوا نصرهم بالاستيلاء على الطائف ثم المدينة ، لكن مروان بن محمد أرسل جيشا من الشام بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية القيسى لقتال الأباضية وانتصر هذا الجيش على أباضية المدينة بعد أن قتل منهم عددا كبيرا ، ثم تابع الجيش مسيره إلى مكة واشتبك مع الأباضية فى عام ١٣٠ هـ فى معركة ضارية قتل فيها أبو حمزة الشارى ، وأبو الحر على بن الحصين فقيه الأباضية فى مكة ، وكذلك قتل عدد غفير من الأباضية . أما الباقون من الأباضية فقد أسرعوا للانضمام إلى طالب الحق الذى سار من صنعاء للقاء قائد الجيش الشامى ؛ وبالقرب من مكة قتل الإمام طالب مع عدد كبير من أتباعه فى سنة ١٣٠ هـ . ثم قضى على إمامة حضرموت واليمن على

يد الأمويين فى أوائل السنة ١٣٢ هـ وعاد من بقى من الأباضية هناك إلى مرحلة الكتمان .

أما فيما يتعلق بأباضية شمال أفريقية فإنه يبدو من المصادر المختلفة أن دعوة الخوارج اختلطت فى البداية مع الدعوة الأباضية التى نشطت على يد أبى عبيدة مسلم وتلاميذه من حملة العلم . ويبدو أن دعاة الأباضية الذين حلوا فى أفريقية اختاروا أربعة رجال من شمال أفريقية ليتفقهوا فى المذهب الأباضى على أيدى الفقهاء الأباضية فى البصرة . وهؤلاء الأربعة هم أبو درار إسماعيل بن درار الغدامسى من غدامس جنوب طرابلس ، وعبد الرحمن بن رستم ، الفارسى الأصل ، من القيروان ، وعاصم السدراتى من سدراتة غربى أوراس ، وأبو داود القبلى النفزاوى من نفزاوة جنوبى أفريقية (تونس الحالية) . وانضم إلى هؤلاء الأربعة فى البصرة أبو الخطاب المعافرى وهو عربى من اليمن .

وظل هؤلاء يتلقون العلم فى البصرة خمس سنوات على يدى أبى عبيدة ثم عادوا إلى أفريقيه فى سنة ١٤٠ هـ وسمى هؤلاء الخمسة فى المصادر الأباضية « حملة العلم إلى المغرب » . وقد أمر الإمام أبو عبيدة أهل المغرب بتعيين أبى الخطاب المعافرى إماما لهم وبتعيين إسماعيل بن درار الغدامسى قاضيا لهم .

وفى شمال أفريقيه بويع أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى بالإمامة فى سنة ١٤٠ هـ . فى صياد بالقرب من طرابلس . وامتدت دولة أبى الخطاب المعافرى فشملت طرابلس والقيروان وغرب وهران ، لكن أبا جعفر المنصور استطاع القضاء على هذه الدولة فى سنة ١٤٤ هـ (١). لكن قيام الدولة الرستمية على يد عبد الرحمن ابن رستم كان أكبر انتصار للدعوة الأباضية فى جميع من الولايات الإسلامية عامة وفى شمال أفريقية خاصة . وكان الإمام أبو الخطاب المعافرى قد عين عبد الرحمن بن رستم قاضيا لطرابلس ، ثم عينه والياً على القيروان فى سنة ١٤١ هـ بعد أن نجح فى احتلالها .

واستطاع ابن رستم أن يرد جيوش ولاة العباسيين فى شمال أفريقية بعد أن ساندته البربر الأباضية . واتخذ عبد الرحمن بن رستم مدينة تاهرت مقرا له ولأتباعه منذ سنة ١٤٤ هـ ثم أعلنت

---

(١) انظر : أبو زكريا بن أبى بكر : السيرة : ورقة ٧ و ٩ ، الدرجينى : طبقات الأباضية : ورقة ٨ و ١٠ ، الشماخى السير ص ١٢٤-١٢٦ ، محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ٤٣٢-٤٣٣ ، ج ٣ ص ٢٠٣-٢٤١ ، السيابى السمائلى : أصدق المناهج فى تمييز الأباضية من الخوارج : ص ٤٤-٤٥ ، السيابى السمائلى : إزالة الرعشاء عن اتباع أبى الشعشاء ص ٣٦-٣٩ ، الدكتور عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية . ص ١٣٣-١٦٦ .

الإمامة فى تاهرت والدولة الرستمية منذ سنة ١٦٠ هـ . وعاشت تلك الدولة الأباضية حتى عام ٢٩٦ هـ ، حين نجح أبو عبد الله الشيعى الداعى الفاطى فى القضاء عليها (١) .

وبعد فهذا مختصر وجيز عن فقه وعلم وعمل الإمام أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، التميمى بالولاء ، الذى كان زنجياً أسود اللون أعور فقيراً ، والذى كان يقتات بعمل السعف يصنع منه القفاف فلقب بالقفاف ، ولكنه كان سيد البيض بعلمه وعقله وفقهه ، وكانت وفاته فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى . ويعتبر أبو عبيدة مسلم مرجع الأباضية بعد جابر بن زيد والحلقة الثالثة لسلسلة المذهب الأباضى والذى نجح بفضل تنظيماته وعلمه وشجاعته وبمساندة عمان والبصرة وحضرموت واليمن وشمال أفريقية فى إقامة الدول الأباضية وفى نشر المذهب الأباضى فى أصقاع مختلفة من العالم الإسلامى(٢) .

---

(١) فيما يختص بالدولة الرستمية انظر ما جاء عنها فى تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ، ٣ لمحمد على دبوز ، والدكتور عوض خليفات نشأة الحركة الأباضية ص ١٦٤-١٦٨ ، زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ج ١ ص ١٠٠-١٠١ (مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥١ م) .

(٢) أنظر : محمد على دبوز : المغرب الكبير ج ٣ ص ١٥٠ - ١٥٣ ، السيابى السمائل : إزالة الوعثاء عن اتباع أبى الشعثاء . ص ٣٣ - ٣٩ .

٣ — الإمام الربيع بن حبيب وحملة العلم إلى عمان :

يستند الأباضية الآن فى الفقه على مسند الربيع بن حبيب الأزدى الفراهيدى العمانى البصرى ، وكان الربيع من أهل الباطنة من عُمان ثم خرج إلى البصرة لطلب العلم ، وكانت البصرة آنذاك عمانية برجالها الأفاضل العلماء . وكان الربيع شابا حين التقى بالإمام جابر بن زيد ، وكان يقول : أخذت الفقه من ثلاثة : « أبى عبيدة وأبى نوح وضمام بن السائب الأزدى العمانى ». وقضى الربيع بن حبيب معظم حياته فى البصرة طالبا ومطلوبا ثم عاد فى أخريات حياته إلى وطنه فى عمان. وكانت وفاته فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى . وفى البصرة عكف الإمام الربيع بن حبيب على كتابة مسنده. وترجع أهمية مسنده إلى ورع الإمام الربيع وعلمه وفقهه ، فضلا عن أنه كان قريب الإسناد . ولا يغيب عن بالنا أن هذا الإنجاز العلمى العظيم تم وسط جو الخوف والإرهاب الذى كان بشيعه أمراء بنى أمية أمثال الحجاج بن يوسف الثقفى(١) . وقد نشر « الجامع الصحيح » للربيع بن حبيب فى القدس فى سنة

---

(١) انظر السيابى السمائلى : أصدق المناهج فى تمييز الأباضية من الخوارج ص ٢١ ، السيابى السمائلى : إزالة الوعثاء عن اتباع أبى الشعثاء ص ٢٩ ، ٤٠ — ٤١ .

١٣٨١ هـ . وفى دار الكتب المصرية بالقاهرة مخطوطة « مسند الربيع » للربيع بن حبيب تحت رقم ٢١٥٨٢ ب . وقد رتب الجامع الصحيح أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلانى(١) من علماء أفريقية فى القرن السادس الهجرى .

ومن أهم من حمل العلم عن الإمام الربيع بن حبيب من البصرة إلى عُمان ، خمسة علماء عمانيون كان لهم الفضل الأكبر فى ازدهار الحياة العلمية فى فجر الإسلام فى عمان وهم أبو المنذر بشير بن المنذر النزوانى ، ومنير بن النير الجعلانى ، وموسى بن أبى جابر الأزكوى ، ومحبوب بن الرحيل ، ومحمد بن المعلى الكندى(٢) .

٤ ـ الأباضية وعبد الله بن أباض :

لم ينتسب الأباضية إلى أى شخصية من فقهائهم قبل عبدالله بن أباض الذى عاصر معاوية بن أبى سفيان (٤٠ ـ ٦١هـ) مؤسس الدولة الأموية الأول ، وعبدالملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ) مؤسس الدولة الأموية الثانى . وكان الأباضية قبل انتسابهم إلى

---

(١) للورجلانى كتاب « الدليل والبرهان » طبعة حجرية المطبعة البارونية (٣) أجزاء . القاهرة ١٣٠٦ هـ .

(٢) انظر : أبو هلال السيابى السمائل : إزالة الوعثاء عن اتباع أبى الشعثاء . ص ٤١ ـ ٤٨ .

عبدالله بن أباض يصفون أنفسهم باسم « الجماعة المؤمنة المسلمة » أو « المسلمين » أو « جماعة المسلمين » أو « أهل الدعوة » . وقد أوردت المصادر المختلفة والمراجع الحديثة نسب عبدالله بن أباض واختلف بعضها فى سلسلة النسب (١). ولانعرف سنة مولد عبدالله ابن أباض ولاسنة وفاته ، وإنما المعروف أن عبدالله بن أباض ينتسب إلى قبيلة تميم التى كانت من أهم قبائل البصرة ، وكان عبد الله بن أباض فى منعة وقوة من عشيرته بنى تميم الذين يسميهم البعض باسم « الحجر الخشن »(٢) . والمعروف أن عبدالله بن أباض عاصر الإمام جابر بن زيد وأخذ عنه ، كما أنه عاصر أحداث الدولة الأموية منذ معاوية بن أبى سفيان إلى عبدالملك بن مروان . وفى كتاب عبدالله ابن أباض إلى عبدالملك بن مروان يتبين لنا شجاعته فى الحق وقوته فى المناظرة والمجادلة ، كما نعرف منه آراء هذه الجماعة المسلمة المؤمنة التى سميت فيما بعد باسم « الأباضية » ، وذلك فيما يتعلق بالتطورات الدينية والسياسية التى حدثت منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام حتى زمن عبدالملك بن مروان ، فضلا عن موقفهم

---

(١) من المراجع الحديثة التى أفاضت فى ترجمة عبدالله بن أباض : خير الدين الزركلى : الأعلام ج ٤ ص ١٨٤ — ١٨٥ .

(٢) على سبيل المثال : انظر : السيابى السمائلى : إزالة الوعثاء عن اتباع أبى الشعثاء . ص ٧٦ .

من الخوارج . وقد استطاع عبدالله بن أباض فى كتابه لعبد الملك بن مروان أن يدحض القول بأن جماعته من الخوارج أو من متطرفى الخوارج(١) .

والمعروف أن اسم « الأباضية » اسم للتمييز وليس للتشريع ، إذ أن مؤسس المذهب والفكر الأباضى هو جابر بن زيد ، لكن عبدالله بن أباض هو الذى استطاع أن يدافع عن آراء جماعته علنا. ومع ذلك فقد اعتبرت بعض المصادر عبدالله بن أباض خارجيا ، واعتبره آخرون من غلاة الخوارج .

ومن مختلف المصادر والمراجع نعرف أن المذهب الأباضى من أول وأقدم المذاهب الإسلامية نشأة ، فإمامه جابر بن زيد . ولم يكن عبد الله بن أباض من الشيوخ المؤسسين للمذهب كما أسلفنا لكن تسميتهم باسم الأباضية جاءت من مخالفيهم ، إذ سمى الأمويون « الأباضية » بهذا الاسم وأدخلوهم فى فرق الخوارج من قبيل التجريح .

---

(١) انظر كتاب عبدالله بن أباض إلى عبدالملك بن مروان ، أو نصائحه إلى عبدالملك كما تعرفها المصادر الأباضية فى : البرادى : الجواهر المنتقاة ص ١٥٦ — ١٦٧ ، السيابى السمائل : إزالة الوعثاء عن اتباع أبى الشعثاء . ص ٨٦—١٠١ (مع الشرح والتعليق) .

ولم يقبل الأباضية فى بداية الأمر تسميتهم بهذا الاسم ولكنهم قبلوه منذ خلافة عمر بن عبد العزيز ٩٩ — ١٠١ هـ(١) وبدأ اسم الأباضية يظهر فى كتاباتهم بعد ذلك .

وإذا كانت المصادر قد اختلفت حول شخصية عبدالله بن أباض ، فإنها اختلفت أيضا فى اسمه ونسبته الصحيحة ، فذكر البعض أن الأباضية أصحاب أباض بن عمرو (٢) .

أما فتح همزة « أباض » أو كسرها فيختلف فيها الأباضية أنفسهم . ففى عُمان — موطن أئمة وعلماء الأباضية — يفتحون الهمزة ، وبذلك تصبح النسبة إلى أباض « الأباضية ». وفى شمال أفريقية يكسرون الهمزة وتصبح النسبة إلى أباض « الإباضية » . ونرى المقريزى(٣) يذكر أن الأباضية هم أتباع « عبد الله بن أباض من بنى مقاعس واسمه الحارث بن عمرو ، ويقال بل ينسبون إلى أباض بضم الهمزة ، وهى قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجد ابن عامر » .

---

(١) انظر : السيابى السمائلى : ازالة الوعثاء عن اتباع أبى الشعثاء. ص٤٩—٥٠ ، محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢) الملطى الشافعى : كتاب التنبيه والرد . ص ٥٢

(٣) المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٣٥٥ ، وانظر مادة « أباض » فى ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦٧ (الطبعة الأولى — مطبعة السعادة — مصر ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦ م)

كذلك تذكر بعض المصادر مثل الشهرستانى (١) والمقريزى (٢) أن خروج عبد الله بن أباض كان فى زمن مروان بن محمد الأموى (١٢٧ - ١٣٢ هـ).

وتشير المصادر إلى اشتراك عبد الله بن أباض فى أمور الدولة الإسلامية حين خرج هو وجميع فرق المحكّمة للدفاع عن مكة مع عبد الله بن الزبير ضد جيش يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ، ثم رجوعه إلى البصرة بعد أن أمنت مكة. ويتبين من رسالة ابن أباض إلى عبد الملك بن مروان أنه أدرك معاوية بن أبى سفيان وأنه أنكر عليه أشياء ذكرها فى رسالته. لكن معظم المصادر لا تشير إلى عبد الله بن أباض بعد عبد الملك بن مروان.

(ب) قيام الإمامة فى عمان :

ازدهرت عمان منذ فجر الإسلام بعلمائها الذين حرصوا على إقامة شعائر الإسلام وتطبيق الإسلام علما وعملا. واختار الأباضية طوال تاريخهم طريق الاعتدال وبعدوا عن الغلو والتطرف، وأكد فقهاؤهم بالعلم والعمل أن مذهبهم هو الإسلام القائم على القرآن الكريم، وعلى الأحاديث النبوية والسنة الشريفة

---

(١) الملل والنحل ص ٢٤٤.

(٢) الخطط ج ٢ ص ٣٥٥

وعلى الإجماع . واتصلت عمان بالبصرة — منذ أن اختطها عمر بن الخطاب — اتصالا وثيقا .

وكانت البصرة مقرا للعلماء الأعلام من أهل عمان حتى كادت البصرة أن تكون عمانية كما مرينا . ومر بنا بعض من آراء الأئمة الأباضية فيما يتعلق بالتطورات السياسية والدينية منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإجماعهم على ضرورة إقامة الإمامة القائمة على الإسلام الصحيح .

وبدأ الأمام جابر بن زيد فى وضع أسس المذهب والفكر الأباضى دينيا وسياسيا محاولا القضاء على الملك المستبد الذى لايستند على القرآن والسنة والإجماع . وحين توفى جابر بن زيد حمل تلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمى البصرى رسالته الدينية والسياسية . ومرّ بنا طرف من تنظيمه للحركة الأباضية التى انتصرت فى عمان — موطن الإمام أبى الشعثاء جابر ابن زيد — وتبع ذلك قيام الإمامة فيها ، كما قامت الإمامة فى اليمن وحضرموت ، وفى شمال أفريقية .

والحق أن المذهب الأباضى فى عمان ارتبط بكفاح عمان من أجل استقلالها . وحاول العُمانيون الاستقلال عن الدولة الأموية ومن بعدها العباسية لأنهم رأوا أن حكام هاتين الدولتين بعدوا

عن الإسلام الصحيح . وسبقت عمان بذلك بقية الدول الإسلامية التى استقلت بعد ذلك عن الخلافة الإسلامية استقلالا ذاتيا أو تاما لظروف وأسباب مختلفة . وطبيعى أن الدولة الأموية ومن بعدها العباسية لم تقف متفرجة أمام استقلال عمان وغيرها من دول العالم الإسلامى شرقا وغربا ، بل كانت تحاول السيطرة على الدول المستقلة وإدخالها تحت حكمها كلما واتتها الفرصة المناسبة ، والمعروف أن أمر عُمان صار بيد أهلها بعد افتراق الصحابة وانتهاء حكم الخلفاء الراشدين ؛ ولم يكن لمعاوية ولا لمن أتى بعده سلطان فى عمان حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان واستعمل الحجاج بن يوسف الثقفى على العراق (١). وجاهد الحجاج لاستعادة عُمان وإدخالها تحت حكم الدولة الأموية ، وكان ذلك إبان حكم سليمان وسعيد ابنى عباد بن عبد بن الجلندى .

وكلما أرسل إليها الحجاج جيشا هزماه ، وجاهد الحجاج لاستعادة عمان عن طريق البر والبحر إلى أن نجح فى النهاية بعد أن تكبدت جيوشه الخسائر الفادحة . أما سليمان وسعيد فلم يقبلا الهزيمة بعد كفاحهما المرير فى سبيل استقلال عمان وبعد أن نجحا قبل ذلك فى رد جيوش الحجاج المتعاقبة ، ولذلك آثرا الخروج

---

(١) انظر . السالمى . تحفة الأعيان . ج ١ ص ٥٧

مع ذراريهما ومن لحق بهما من قومهما إلى بلد من بلدان الزنج فى أفريقية (١) .

ولكن الملاحظ أنه بعد وفاة الوليد بن عبد الملك والحجاج ابن يوسف بدأت قبضة الأمويين تخف عن عمان وبدأ العمانيون يمارسون استقلالهم الداخلى . إذ ولى سليمان بن عبد الملك (٩٦–٩٩ هـ) يزيد بن المهلب على العراق والخراسان ، واستعمل يزيد أخاه زيادا على عمان ، وبذلك أصبح أمر عمان فى حقيقة الأمر بيد أبنائها . وفى خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩–١٠١هـ) ولى عامل العراق ، عدى بن أرطاة الفزارى ، على عُمان عمالا لم يقبلهم العمانيون وكتبوا بذلك إلى عمر بن عبد العزيز فاستعمل عليهم عمر بن عبد الله الأنصارى .

وكان عمر بن عبدالله حسن السيرة فى عُمان ، فضلا عن أنه ترك مقاليد الأمور بيد العمانيين . وحين توفى عمر بن عبد العزيز ، خرج واليها عمر بن عبد الله الأنصارى من عُمان وسلم مقاليد الأمور لزياد بن المهلب بعد أن قال له : « هذه البلاد بلاد قومك فشأنك بها » (٢)

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٧ – ٥٩

(٢) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٩

وهكذا ظلت عُمان فى أيدى أبنائها طوال الحكم الأموى باستثناء الفترة التى ولى فيها الحجاج بن يوسف العراق والتى أدخل فيها عُمان تحت حكم الأمويين بعد أن تكبدت جيوشه الخسائر الفادحة .

وحين قامت الدولة العباسية ، ولى أبو العباس السفاح أخاه أبا جعفر المنصور على العراق : فأرسل أبو جعفر جناح بن عباد بن قيس بن عمرو الهنائى واليا على عمان ؛ وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جناح فى صحار . لكن المنصور مالبث أن عزله وولى ابنه محمد بن جناح .

وقد ترك هذا الوالى مقاليد الأمور بيد العمانيين حتى صارت عمان لهم ، وعند ذلك عقدوا الإمامة للجلندى بن مسعود بن جيفر ابن جلندى وكان ذلك كما يقول العمانون : « سببا لظهور الإسلام وقوة شوكته » (١) ولم يكن الجلندى بن مسعود بعيدا عن الأحداث الجارية حينذاك فقد كان ممن حضر بيعة عبدالله بن يحيى طالب الحق . وإذا كان الجلندى قد ولى الإمامة سنة ١٣١هـ كما تذكر بعض الروايات فيكون معنى ذلك أن إمامته كانت فى نهاية الدولة الأموية وقبيل قيام العباسيين . أما إذا كانت بداية

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان . ج ١ ص ٦٦

إمامته سنة ١٣٢ هـ كما قيل فى روايات أخرى فتكون إمامته بعد قيام الدولة العباسية . لكن العباسيين جاهدوا لاستعادة عمان ووقعت حروب ضارية بين الجيوش العباسية وعلى رأسها خازم ابن خزيمة الخراسانى ، وبين الإمام الجلندى بن مسعود وجيوشه ، وجاءت النهاية باستشهاد الجلندى وأصحابه فى سنة ١٣٣ هـ أو سنة ١٣٤ هـ .

وعاصر إمامة الجلندى عدد كبير من علماء وفقهاء الأباضية مثل الربيع بن حبيب وشبيب بن عطية العمانى ، وموسى بن أبى جابر الأزكوى (الأزكانى) ، وبشير بن المنذر النزوانى ، ومنير ابن النير الجعلانى . وكان الجلندى من أفضل أئمة المسلمين فى عمان فأظهر الحق وعمل به « وأخذ الدولة من يد أهل الجور وبرئ ، من الجبابرة » .

ويذكر المؤرخون العمانيون أن عُمان بقيت بعد استشهاده حوالى أربعة وأربعين سنة « فى يد الجبابرة من بنى الجلندى منقادين لأمر بنى العباس إلى سنة ١٧٧ هـ ثم رجعت الدولة للمسلمين »(١) . وفى سنة ١٧٧ هـ اتفق العلماء والفقهاء الأباضية وعلى رأسهم موسى بن أبى جابر الأزكوى ، على إعلان إمامة

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٧٤

محمد بن عبدالله بن أبي عفان ، وكان من اليحمد إلا أنه نشأ فى العراق . لكن محمد بن أبي عفان أساء السيرة فاعتبره العمانيون جبارا وعزلوه فى النصف من ذى للقعدة من سنة ١٧٩ هـ بعد أن حكم سنتين وشهرا . واتفق المسلمون فى عمان على إعلان إمامة الوارث بن كعب الخروصى وهو أول إمام من بنى خروص وهم من اليحمد .(١) وحاول العباسيون استرجاع عُمان فأرسل هارون الرشيد جيشا بقيادة عيسى بن جعفر بن المنصور — أخ السيدة زبيدة — لهذا الغرض ولكن الجيش العباسى هزم شر هزيمة وقتل عيسى بن جعفر .

وظلت إمامة الوارث بن كعب أكثر من اثنتى عشرة سنة . وحين توفى سنة ١٩٢ هـ بايع أهل عمان غسان بن عبد الله اليحمدى بالإمامة . وكان مقر الإمامة فى نزوى التى سميت أيام إمامة غسان بن عبد الله « بيضة الإسلام » وكانت قبل ذلك تسمى تخت ملك العرب »(٢) وكانت إمامة غسان خمس عشرة سنة وبضعة أشهر ، ولما توفى بويع بالإمامة عبد الملك بن حميد فى سنة ٢٠٧ هـ على قول أو فى سنة ٢٠٨ هـ على قول آخر . وعبد الملك بن حميد من بنى على بن سودة بن على بن عمرو بن عامر ماء السماء الأزدى .

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٨٥ — ٨٦

(٢) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٩٤

وهكذا توالى حكم الأئمة فى عمان فى فجر الإسلام .وكان هناك « بيت للمشورة » يجتمع فيه أولو العلم والرأى فيمن يقدمونه إماما . وأخذت عمان تتقدم وتزدهر فى فجر الإسلام وخاصة فى عهد الأئمة الصالحين ، وبعد أن أمنت استقلالها . وأصبحت عُمان خير دار فى الإسلام ، وكان للأباضية فى عمان أثر كبير فى استقلالها وازدهارها ، الا فيما ندر ، بل إن حكم العثمانيين فى العصر الحديث لم يمتد إليها كما امتد إلى غيرها فى الأقطار العربية الإسلامية . وساعد ذلك الازدهار والاستقلال على أن تقوم عمان بدور مهم رئيسى فى العالم العربى الإسلامى الحديث بعد أن صارت أكبر دولة بحرية فى تاريخنا العربى الحديث .

المرأة المسلمة فى عمان

لاتسعفا المصادر التى تحت أيدينا بالحديث عن المرأة العمانية المسلمة . ولكننا نعلم كيف أن الإسلام اهتم بالمرأة والأسرة اهتماما كبيرا . وأصبح للمرأة المسلمة مركز ممتاز لم ترق إليه المرأة الغربية إلا فى العصر الحديث ، بل إن المرأة فى بعض المجتمعات الغربية لم تصل للآن إلى الحقوق التى منحها الإسلام للمرأة .

وفى بعض المجتمعات الإسلامية ، نرى المجتمع وليس الدين يسلب المرأة حقوقها أو بعضها ، لكن فى مجتمع حرص على تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا دقيقا لابد وأن للمرأة فيه مركزا ممتازا .

وقد ورد فى بعض الروايات أن نسوة من نساء أهل عمان أستأذن على السيدة عائشة رضى الله عنها فأذنت لهن ، فدخلن عليها وسلمن عليها . ثم قالت من أنتن ؟ فقلن : من أهل عمان ، فقالت لهن · لقد سمعت حبيبى عليه السلام يقول : ليكثرن رواد حوضى من أهل عمان (١) .

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان فى أهل عمان ج ١ ص ٦

وقد لاحظنا أن تاريخ عمان الإسلامى ملىء بوصايا الائمة لعمالهم وصايا طويلة مفيدة تحث على اتباع القرآن والسنة وآثار أئمة الهدى ، فضلا عن وصايا علماء وفقهاء الدين للموكهم وحكامهم . ولم تغفل كثير من تلك الوصايا والنصائح الحث على العناية بالنساء والنظر فى أمورهن والذب عنهن . وكان يشار إلى الحاكم الفاسق بأنه لايذب عن الحريم .

والحق أن النساء فى عُمان تمتعن بحقوقهن التى منحها الإسلام للمرأة . وهذا ليس بغريب فى مجتمع قام على أسس الإسلام الصحيحة . وقد أدرك الغربيون من الرحالة وغيرهم فى العصر الحديث أن المرأة فى عُمان تتميز عن أختها فى سائر الأقطار العربية الإسلامية التى سلبت المرأة حريتها وحقوقها أو انتقصت منها . إذ شاركت المرأة العمانية فى نشاط المجتمع وفى النواحى السياسية ، بل إنه كان من نساء الأسر الحاكمة فى العصر الحديث من يقمن بالوصاية على الحكم (١) .

---

(١) Boehm (Sir Edgar Collins) : The Persian gulf and South Sea Isles. p., , (London 1904)

أهل الذمه فى عمان

بعد أن دخلت عمان فى الإسلام لاتسمع عن الوثنية أو المجوسية فيها ، ولكن بقى فيها بعض المسيحيين واليهود ، وأصبح هؤلاء بحكم معيشتهم فى بلد إسلامى « أهل ذمة » .

والذمة فى اللغة العربية هى العهد والامان . والمنتفعون بالعهد أو الأمان يسمون الذميين أو أهل الذمة . وفى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام كان هناك أهل ذمة من عرب شبه الجزيرة مثل أهل نجران ، ومثل قبائل بكر وتغلب ، وأهل دومة الجندل ، وأهل أيلة ، والغساسنة والمناذرة . وكان هؤلاء العرب الذميون أو المعاهدون ، يتمتعون بقسط وافر من التسامح الدينى كما تشهد بذلك أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، لأهل الذمة(١).

وحين أرسل الرسول عليه الصلاة والسلام أبا زيد وعمرو ابن للعاص إلى عمان طلب منهما أخذ الصدقة من المسلمين

---

(١) انظر : أبو يوسف : كتاب الخراج ص ٨٦ و ١٤٩ (القاهرة ١٣٤٦ هـ) وابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٣ ، ٥٥ — ٥٦ (القاهرة ١٣٥٨ هـ) ، وابن هشام : سيرة النبى عليه الصلاة السلام ج ٢ ص ٣٣٨ (القاهرة ١٣٤٦ هـ) .

والجزية من المجوس(١) . وجاء ذكر أهل الذمة فى مناسبات مختلفة فى تاريخ عمان فيذكر البلاذرى (٢)«ولم تزل عمان مستقيمة الأمر يؤدى أهلها صدقات أموالها ويؤخذ ممن بها من الذمة جزية رءوسهم .»

وقد وعى أهل عمان وحكامها معنى الجزية وجباية الصدقات. إذ جاء فى السير العمانية التأكيد على أن جباية الجزية تستتبع الحماية ، ومن ذلك النص الآتى : « وفى آثار أسلافنا انهم قالوا : ولا نجبى جزية ولا صدقة حتى نكون على الناس حكاما ، ولا نبعث جباتنا يجبون أرضا لم نحمها ، ولم يجر فيها حكمنا ، ولا نمنع من جبينا من الظلم والعدوان » (٣) .

والحق أن ارتباط الجزية بالحماية عرف منذ أن فرضت الجزية على أهل الذمة ، ومن ذلك مثلا ماجاء عن خالد بن الوليد فى المعاهدة التى أبرمها مع بعض أهالى القرة المجاورة للحيرة « فإن منعناكم فلنا الجزية والا فلا» (٤) .

---

(١) البلاذى : فتوح البلدان ص ٨٦ ، والطبرى : تاريخ الامم والملوك ج٣ ص ١٠٣ .

(٢) فتوح البلدان ص ٨٤ .

(٣) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢١٩ .

(٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٢٠٥٠ (طبعة ليدن)

كذلك جاء فى وصية أحد أئمة عمان فى القرن الثالث الهجرى وهو الصلت بن مالك الخروصى (٢٣٧–٢٧٢هـ) لأحد ولاته ، ما يتعلق بجزية أهل الذمة وحسن معاملتهم ومن يعفى منها فذكر « وليس على الصبيان والشيخ الفانى ولا على الفقراء ولا على الزمناء ولا على النساء ولا على العبيد ولا الإماء شىء (١) .

وكان يحق للإمام إذا خان « أهل الذمة » العهد أن يحاربهم وأن يردعهم حتى ينتصر عليهم وحتى لاتكون فتنة . وكانت تحدث أحيانا بعض المشاغبات من أهل الذمة شأنهم فى ذلك شأن الأقليات فى البلاد المختلفة . ونسمع فى زمن الإمام الصلت بن مالك الخروصى أن النصارى خانت العهد ونقضوا مابينهم وبين المسلمين وهجموا على سقطرى (٢) وقتلوا والى الإمام ومن معه وسلبوا ونهبوا . فأرسلت امرأة من سقطرى بقصيدة إلى الإمام تذكر له ماوقع من النصارى بسقطرى وتستنصره ، فاستجاب الإمام وأرسل الجيوش والمراكب إلى سقطرى وعادوا ظافرين بعد أن نصرهم الله على أهل الفتنة (٣).

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان ص ١٤٩ .

(٢) سقطرى . جزيرة فى جنوب عمان يفصل بينهما بحر الحبشة .

(٣) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٢٧ – ١٤٢ .

كذلك نسمع عن اليهود منذ فجر الإسلام فى عمان وخاصة فى صحار (١) وظل معظم اليهود فى عمان إلى العصر الحديث يعيشون فى ميناء صحار .

ويطلق الأهالى العمانيون عليهم اسم « أبناء سارة » . ولاحظ الرحالة الأوربيون فى العصر الحديث أن اليهود فى عُمان يتمتعون بالحرية الشخصية والدينية على عكس اليهود فى اليمن أو فى إيران (٢) .

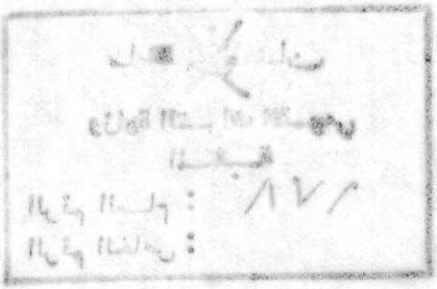

(١) السالمى : تحفة الأعيان . ج ١ ص ١٠٣ — ١٠٤

(٢) Wellested (J.R.) : Travels in Arabia. vol. I pp. 21 – 22 (London. Two vols. 1838).

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
المكتبة
الرقم العام : ١٧٨
الرقم الخاص :

الفهرس

	الصفحة
تقديم الكتاب	٣
مقدمة الكتاب	٥
جغرافية عمان وأثرها على تاريخها	٨
القبائل العربية فى عمان	١٠
اسم عمان	١٢
الشعوب العربية البائدة فى عمان	١٣
ديانة عمان قبل الإسلام	١٤
الدعوة إلى الإسلام فى عمان	١٩
استجابة ملكى عمان لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم	٢٢
وفود أزد عمان	٢٥
أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى فضل إسلام أهل عمان	٢٦
عمرو بن العاص وأهل عمان	٢٨
أهل عمان وردة العرب	٣٠
اشتراك عمان فى الفتوحات الإسلامية	٣٤
عمان والحركة العلمية فى فجر الإسلام	٣٧
الأباضية فى عمان	٤١

الصفحة

(ا) مشاهير الأئمة الأباضية فى فجر الإسلام ٥٣
١ — الإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد ٥٣
٢ — أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة والأباضية بعد وفاة جابر بن زيد ٥٨
٣ — الإمام الربيع بن حبيت وحملة العلم إلى عمان ٦٧
٤ — الأباضية وعبد الله بن أباض ٦٨
(ب) قيام الإمامة فى عمان ٧٢
المرأة المسلمة فى عمان ٨٠
أهل الذمة فى عمان ٨٢

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٤١٥ لسنة ١٩٧٩

مطابع سجل العرب
٩ شارع عماد الدين . ت ٩٣٢٤٠٦